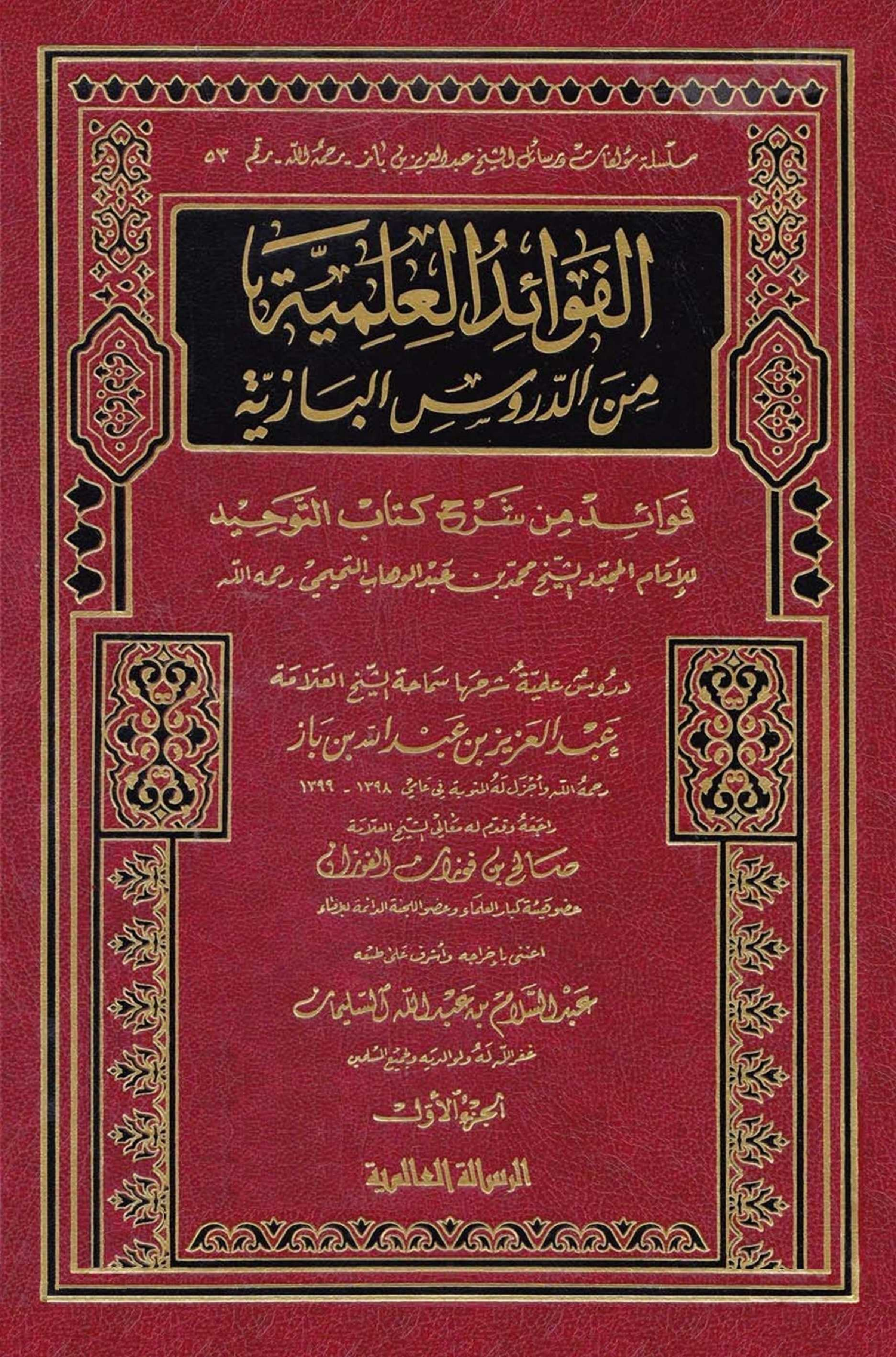


سلسلة مؤلفات ورسائل الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - رقم ٥٣
الفوائد العلمية
من الدروس البازية
فوائد من شرح كتاب التوحيد
للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله
دروس علمية شرحها سماحة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رحمه الله وأجزل له المثوبة في عامي ١٣٩٨ - ١٣٩٩
راجعه وقدم له معالي الشيخ العلامة
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه
عبد السلام بن عبد الله السليمان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
الجزء الأول
الرسالة العالمية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ح عبد السلام بن عبد الله السليمان ، ١٤٢٩ هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السليمان، عبد السلام بن عبد الله

الفوائد العلمية من الدروس البازية./ عبد السلام بن عبد الله السليمان – الرياض ، ١٤٢٩هـ

١٠ مج . – (سلسلة الفوائد العلمية)

ردمك ٣-١٥٢٨-٠٠-٦٠٣-٩٧٨(مجموعة)

٠-١٥٢٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

١- الاسلام- مبادئ عامة ٢- الثقافة الاسلامية أ- العنوان ب. السلسلة

ديوي ٢١١ ١٤٢٩/٦٠٩٥

رقم الإيداع :١٤٢٩/٦٠٩٥

ردمك : ٣-١٥٢٨-٠٠-٦٠٣-٩٧٨(مجموعة)

٠-١٥٢٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨(ج ١)

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م





دار الرسالة العالمية

الإدارة العامة

Head Office

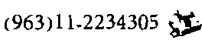
دمشق - الحجاز

شارع مسلم البارودي

بناء خولي و صلاحي

 2625

(963)11-2212773



(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية

Syrian Arab Republic



info@resalahonline.com

http://www.resalahonline.com

فرع بيروت

BEIRUT/LEBANON

TELEFAX: 815112- 319039- 818615

P.O. BOX:117460

سلسلة مؤلفات ورسائل الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - رقم ٥٣

الفوائد العلمية

من الدروس البازية

فوائد من شرح كتاب التوحيد

للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله

دروس علمية شرحها سماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله وأجزل له المثوبة في عامي ١٣٩٨ - ١٣٩٩

راجعه وقدم له معالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه

عبد السلام بن عبد الله آل السليمان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الجزء الأول

طبع بإذن من سماحة المفتي العام للمملكة ومؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

دار الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:
فقد اطلعت على المجموعة المسماة: سلسلة الفوائد العلمية
من الدروس البازية جمع الشيخ: عبد السلام بن عبد الله السليمان
فوجدتها مجموعة مفيدة حافلة بدرر من دروس الشيخ عبد العزيز بن باز
وتعليقاته وأرجو الله أن ينفع بها ويكتب أجرها لمن تكلم بها
ومن جمعها. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
صالح
١٤٢٩/٧/٢٨هـ

تقريظ

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وبعد،
فقد اطلعت على المجموعة المسماة : سلسلة الفوائد العلمية من الدروس البازية جمع الشيخ : عبد السلام بن عبد الله السليمان فوجدتها مجموعة مفيدة حافلة بدرر من دروس الشيخ عبد العزيز بن باز وتعليقاته وأرجو الله أن ينفع بها ويكتب أجرها لمن تكلم بها ومن جمعها- وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
١٤٢٩/٠٧/٢٨ هـ

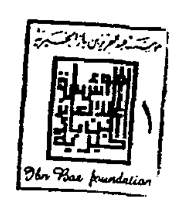
مقدمة اللجنة العلمية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده   وبعد:

فيطيب للجنة العلمية بمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية أن تقدم بين يدي القارئ الكريم هذا الجمع النافع الموسوم بـ(سلسلة الفوائد العلمية من الدروس البازية) وقد قام بجمعه وإعداده فضيلة أخينا الشيخ/ عبدالسلام بن عبدالله السليمان وفقه الله وسدده .

وقد اشتمل هذا الجمع المبارك على فوائد جليلة ودرر بهية من دروس سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز _ رحمه الله _ وتعليقاته النافعة .

نسأل الله تعالى أن يثيب من جمعها وأعدها ،كما نسأله سبحانه أن يضاعف الأجر والمثوبة لسماحة شيخنا / عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ وأن يجعل هذه الفوائد من العلم النافع الذي يجري عليه أجره في قبره، وأن يجمعنا به والمعدّ والقارئ الكريم في دار كرامته مع الأحبة محمد ﷺ وصحبه .



اللجنة العلمية

بمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

مقدمه معالي الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

سماحة الشيخ العلامة الإمام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله المفتي العام للمملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء بالمملكة ورئيس اللجنة الدائمة للبحوث العليمة والإفتاء ورئيس رابطة العالم الإسلامي فقد تشرفت بمعرفته رحمه الله واستفدت من سماحته مدرساً في كلية الشريعة بالرياض حيث تلقيت عنه علم الفرائض في هذه الكلية واستفدت من دروسه ومحاضراته خارج الكلية منذ قدمت إلى الرياض لطلب العلم سنة ١٣٧٨ للهجرة. فهو العالم الفذ في علمه وفي عمله وفي أخلاقه وفي حبه للخير وأهله وفي سعيه الجاد في نشر العلم، يعرف ذلك القاصي والداني عنه ، ولقد تشرفت بالمشاركة في العمل تحت رئاسته عضواً للجنة الدائمة للإفتاء وفي هيئة كبار العلماء وفي المجمع الفقهي فاستفدت منه كثيراً، من توجيهاته العلمية وآراءه السديدة لأنه رحمه الله آية في الإلمام بمسائل الفقه وأقوال العلماء ومعرفة الأدلة واستحضارها، وحفظ الأحاديث ومعرفة متونها وأسانيدها ومخرجيها ودرجاتها، فكان لا يأخذ من الأقوال إلا ما ترجح لديه بالدليل، ولا من الأدلة إلا ما صح عنده، كان لا يمل من قراءة الكتب النافعة، والاستزادة من العلم، وكان رجاعاً

إلى الحق لا يمنعه قول قاله بالأمس أن يرجع عنه إلى الصواب إذا تبين له اليوم، عملاً بوصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه وكان يحرص على البحث والمشورة حتى مع من هو أقل منه علماً وخبرة بحثاً عن الحق والأخذ به؛ لأن الحق ضالة المؤمن أنَّى وجده أخذه، كان يحرص رحمه الله على نفع المسلمين بماله وجاهه وشفاعته، يحب المشاركة في المشاريع الخيرية، ويساعد المحتاجين، ويفتي السائلين شفهياً وتلفونياً وتحريرياً، لا يقتصر على عمله الرسمي فعمله دائم في البيت مع سعة صدر، وسماحة بال، وتيسر لقاء به، حيث يجلس لإستقبال الناس الساعات الطويلة من كل يوم ويفتح بابه لمن يريد الدخول واللقاء به دون مانع أو حائل مع قيامه بالدعوة إلى الله من خلال الدروس اليومية التي يلقيها في المسجد ويحضرها المئات من الطلاب والمستفيدين ومن خلال المحاضرات التي يلقيها في المساجد والمنتديات واللقاءات، فكان لا يتوقف، إذا طلب منه إلقاء محاضرة في أي مكان قريب أو بعيد أو طلب منه لقاء فقهي يجيب من خلاله على أسئلة الحضور حتى بواسطة المهاتفة من مكان بعيد وله مشاركات كبيرة في وسائل الإعلام المقروءة و المسموعة في إلقاء الكلمات والنصائح والإجابة على الأسئلة، وله مواقف عظيمة و كثيرة في الرد على أهل الضلال وكشف شبهاتهم وتعرية باطلهم وبيان الحق، يظهر ذلك من ردوده المطبوعة والمسجلة على الأشرطة، ومن كتبه الكثيرة، وفي جانب

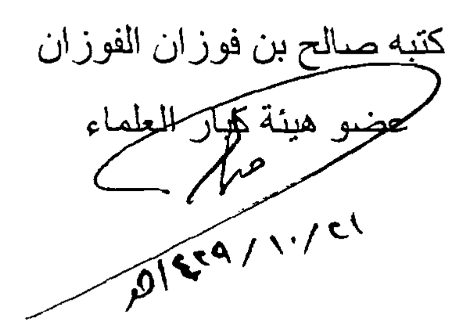
الأمر المعروف والنهي عن المنكر كان له دوره الفعال في القيام بهذا الأمر ومساندة ومساعدة القائمين عليه ونصيحة ولاة الأمور ونصيحة الرعية عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ، ومهما قلت فإنني أراني مقصراً في وصف ما لهذا العالم الجليل من جهود عظيمة وما تحلى به من فضائل، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وقد هيأ الله عز وجل لهذا الإمام الجليل من قام بجمع علمه ونشره في الآفاق حتى يكون من العلم الذي ينتفع به بعد وفاته يرحمه الله، وهذه المجموعة المعنونه بـ (سلسلة الفوائد العلمية من الدروس البازية) هي جزء من علم شيخنا الجليل يرحمه الله، التي قام بجمعها وإخراجها أخونا الشيخ عبدالسلام بن عبدالله السليمان جزاه الله خيرا، وقد حوت فوائد جليلة يدركها من طالعها وقرأ فيها.

رحم الله شيخنا وأسكنه فسيح جناته وجزاه عما قدم خير الجزاء وأوفاه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة، ما مَنَّ به عليها من العلماء الربانيين الذين هم ورثة الأنبياء يحملون العلم في صدورهم، ويعملون به، ويعلمون الناس، قال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[1]، والعلماء هم أخشى الناس لله، وهم أعبد الناس لله تعالى؛ قال تعالى مادحاً

(١) أخرجه أبو داود: العلم (٣٦٤١)، والترمذي: العلم (٢٦٨٢)، وابن ماجه: المقدمة (٢٢٣).

إياهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] وهم الأعلام على طريق الهدى، وهم كالنجوم يُهتدى بهم؛ وقال ﷺ في فضل العلماء: «فضل العالم على العابد، كفضل القمر في ليلة البدر على سائر الكواكب»[١]، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «مثل العالم في الناس، كمثل النجوم في السماء يهتدى بها»[٢].

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاّء
وقدر كلّ امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبداً
الناس موتى وأهل العلم أحياء

وإن من العلماء الربانيين الإمام الداعية الفقيه المحدث الورع الزاهد بقية السلف الصالح سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ رحمه الله ـ أشهر علماء وفقهاء عصره، الذي تلقى

(١) هو قطعة من الحديث السابق.

(٢) أخرجه الآجري في «أخلاق العلماء» (١٧).

الناس علمه وفتاواه ورسائله بالقبول، وتتلمذ على يديه المئات من الطلاب، فقد كرس حياته للعلم والتعليم ونفع الله بعلمه مشارق الأرض ومغاربها.

ولقد مَنَّ اللهُ عليَّ أن حصلت على دروسٍ لسماحة شيخنا ـ رحمه الله ـ مسجلة صوتياً في عامي (١٣٩٨ـ ١٣٩٩هـ) سجَّلها أخي فضيلة الشيخ فهد بن ناصر الزيد ـ وفقه الله ـ تشتمل على دروس متنوعة في التفسير والعقيدة والحديث وغيرها من الفنون لم يكتمل الشرح فيها.

و قد تميزت هذه الدروس بما عُرف من طريقة الشيخ ـ رحمه الله ـ في التدريس في ذلك الوقت من شرح وبيان للمسائل واستحضار للأدلة وأقوال أهل العلم، وتعريف بالرواة واستنباط الأحكام من الأدلة خلال الشرح.

ولأهمية هذه الدروس ـ ولو لم تكتمل ـ ولِـما اشتملت عليه من فوائد عظيمة، ولمعرفتي بحاجة طلبة العلم لهذه الدروس، قمت بتفريغها من الأشرطة، وفصل كل درس على حدة وترتيبها والعناية بها، وسميت هذه المجموعة من الشروح **(الفوائد العلمية**

من الدروس البازية). وقد اختلفت طريقة إخراج كل درس عن الآخر بيَّنتُها في المقدمة، وقد ألحقت الأسئلة التي وردت أثناء الشرح مع أن بعضها خارج الموضوع إلا أني أبقيتها لأهميتها وإكمالاً للفائدة.

واشتملت هذه المجموعة على ثماني دروس رتبتها على النحو التالي:

١. فوائد من شرح كتاب «التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي.

٢. فوائد من كتاب «تيسير العزيز الحميد» للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ.

٣. فوائد من تفسيره لبعض الآيات.

٤. فوائد من شرح كتاب «صحيح البخاري» لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.

٥. فوائد من شرح كتاب «سنن الترمذي» لأبي عيسى محمد ابن عيسى الترمذي.

٦. فوائد من كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم، لمخالفة أصحاب الجحيم» لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية.

٧. فوائد من كتاب «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرَعي (ابن قيم الجوزية).

٨. فوائد من شرح كتاب «اختصار علوم الحديث» للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير.

و كان العمل فيها على النحو التالي:

١. تفريغ الأشرطة، والتأكد من سلامة التفريغ بمقارنة المفرغ مع المسموع.

٢. فصلت كل كتاب على حدة مع أسئلته.

٣. التأكد من متن الكتاب من أصله المطبوع، ووضعت المتن في أعلى الصفحة.

٤. في كتابي «صحيح البخاري» و«سنن الترمذي» أثبت أرقام

الأحاديث المعتمدة في العزو إليها عند أهل العلم، وبينت المرجع في ذلك عند أول حديث.

٥. وضعت رقماً تسلسلياً لكل درس، بحيث يكون الرقم في آخر كل فقرة ـ في المتن أو الحديث ـ يريد الشيخ شرحها ونفس الرقم يكون في بداية شرح الشيخ للفقرة.

٦. يكون شرح سماحة الشيخ أسفل المتن أو الحديث، ومرتبط مع المتن أو الحديث برقم، ويفصل المتن والشرح خط صغير.

٨. إذا عرض سؤال أثناء المتن يبيَّن بعلامة نجمة ووضعت السؤال والجواب أسفل المتن ويفصلهما خط، وإذا كان السؤال في الشرح يبيَّن بعلامة نجمة، ويكون السؤال والجواب أسفل الشرح يفصلهما خط، ويكون في بداية الأسئلة نجمة ثم في بداية كل سؤال حرف (س) و بداية الجواب حرف (ج).

٨. قمت بتخريج الأحاديث، سواء في المتن، أو ما يذكره الشيخ أثناء الشرح، أو أثناء الإجابة على الأسئلة، ومكانه أسفل الصفحة تحت خطين قصيرين، وأي تعليق لي سيكون أسفل

الخطين.

٩. قمت بعزو الآيات في موضعها، سواء كانت في المتن أو الشرح أو أثناء الإجابة على الأسئلة.

١٠. عندما يقرأ على الشيخ شرح من كتاب مثل: «فتح الباري» أو غيره أثناء الدرس، أبيِّن ذلك بإثبات اسم الشارح في أول كلامه بين معقوفتين والإشارة إلى انتهاء كلامه في آخره.

١١. أرفقت ترجمة مختصرة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في أول مجلد.

١٢. وضعت ترجمة مختصرة لكل مؤلف في مقدمة كل كتاب، وبينت أهمية الكتاب والشروح المطبوعة له.

١٣. قمت بإفراد قسم خاص من الفهارس يتعلق بأحكام الشيخ على الأحاديث.

١٤. جعلت قسماً من الفهارس خاصاً بالأسئلة التي وردت في الكتاب، وقد رتبته على أبواب الفقه.

١٥. وضعت فهارس للآيات والأحاديث والموضوعات

والأعلام المترجَم لهم والمتكلَّم فيهم.

ولعلّي في هذا الجهد المتواضع أكون قد وُفِّقت أن أضع بين يدي طلاب العلم قدراً من علم شيخنا ـ رحمه الله ـ ليستفيدوا وينهلوا من علمه، ويتعلموا من مدرسته في التدريس والتعليم.

ومهما يبذل الإنسان من جهد لإخراج العمل على الوجه المطلوب، إلا أن الخطأ يكون وارداً، وقد بذلت وسعي وأملي أن أصل فيه إلى ما رجوت لخدمة عالم جليل له فضل علينا جميعاً، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وأرجو من الإخوة عند وجود أي ملاحظة أو خطأ مطبعي أو توجيه أو مقترح أو نصيحة أن لا يبخل علي بها، و لا يتردد في مراسلتي إما على البريد الإلكتروني، أو عن طريق المراسلة على صندوق البريد.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل مباركاً وخالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات شيخنا ـ رحمه الله ـ وفي ميزان حسنات من سجل هذا

العلم ومن أخرجه ومن نشره، آمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين.

عبد السلام بن عبد الله السليمان

ص.ب ٢٨٠٨٤ الرياض ١١٤٣٧

E-mail:abdulsalam@al-daawah.net

ترجمة

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله[1]

اسمه ونسبه:

هو الإمام العالم العلامة الصالح الورع الزاهد، أحد الثلة المتقدمين بالعلم الشرعي، انتفع به المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها في الفتوى والعلم، ناصر السنة وقامع البدعة، أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز. وآل باز أسرة عريقة في العلم إلى جانب التجارة والزراعة، معروفة بالفضل والأخلاق.

ومن أعيان هذه الأسرة: الشيخ عبد المحسن بن أحمد آل باز المتوفى سنة ١٣٤٢هـ، الذي تولى القضاء بالحوطة ثم الإرشاد في هجرة الأرطاوية. والشيخ مبارك بن عبد المحسن بن باز، والشيخ حسين بن عثمان بن باز، وقد تولوا القضاء في عدد من مناطق المملكة.

---

(١) الترجمة من كتاب «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز».

أما أصلهم فمن المدينة المنورة، وقد انتقل أحد أجدادهم منها إلى الدرعية ثم انتقلوا بعد ذلك إلى حوطة بني تميم.

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز عن عائلته: إن أصلهم من الرياض، وطائفة منهم في الحوطة، وطائفة في الأحساء، وطائفة في الحجاز، وكلهم يرجعون لنفس العائلة، وهناك أناس يقال لهم : آل باز في الأردن ومصر وفي بلاد العجم ولا نعرف عنهم شيئاً، ولكن بعضهم يدّعي أنه من آل البيت وهم الموجودون في الأردن.

مولده:

ولد الشيخ في مدينة الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ، وترعرع فيها وشبَّ وكبر فيها.

نشأته:

نشأ ابن باز في أسرة يغلب على الكثير من فضلائها طلب العلم وعلى بعضها عمل التجارة، والبعض العناية بالزراعة، ونشأ يتيماً في حضانة والدته: هيا بنت عثمان بن عبد الله الخزيم، فوالده توفي في ذي القعدة من عام ١٣٣٣هـ وعمره ثلاث سنوات، وقد

اعتنت به والدته، وخاصة في توجيهه إلى طلب العلم الشرعي منذ نشأته، وكانت البيئة التعليمية في ذلك الوقت عامرة بالعلم الشرعي عن طريق التعليم في المساجد والكتاتيب، فبدأ الشيخ تعليمه بحفظ القرآن الكريم كما هي عادة السلف الصالح، إذ يجعلون القرآن الكريم أول المصادر العلمية، فيحفظونه ويتدبرونه، ويعون أحكامه وتفاسيره، ومن ثم ينطلقون إلى بقية العلوم الشرعية.

وقد كان الشيخ مبصراً في أول حياته، ثم أصابه المرض في عينيه عام ١٣٤٦هـ ثم ذهب بصره بالكلية في عام ١٣٥٠هـ، وهو ابن عشرين عاماً تقريباً، ومع ذلك كله استمر في طلب العلم، ثم فجع بوفاة والدته عام ١٣٥٦هـ ومع ذلك صبر الشيخ في طلب العلم والتزود من العلوم والمعارف.

عبادته وزهده:

العبادة شأنها عظيم، فمن عباد الله من هو ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله. أما الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ فكان كثير التعبد والتنفل، وكان مثالاً يحتذى به في حرصه على

العبادة، وفي تبكيره إلى المسجد، وفي محافظته على السنن والرواتب وعلى الأذكار في كل الأحوال.

فالشيخ، ولي صالح وعبد صادق، رقيق القلب كثير الذكر، سريع الدمعة يقول عنه الشيخ عبد الله المجلي أحد أبرز الملازمين له: «إن الشيخ ابن باز عابد زاهد ورع صوّام قوّام، كثير العبادة والاستغفار، شديد الخوف من الله لا يترك باب طاعة إلا يسلكه، ولا عمل خير إلا ويسير فيه، متمسك بالسنة مطبق لها في كل جوانب حياته، فهو بحق يمثل الإسلام كله في حياته .. فهو يداوم على قيام الليل، والسنن والرواتب، وسنة الضحى وغيرها وجميع الأذكار، حج اثنتين وخمسين حجة، وكان يزور المرضى ويشيع الجنائز ويصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع، ويختم القرآن كل ثلاث أو أربع ليال على الرغم من كثرة مشاغله وأعبائه العلمية.

ومن حرصه على وقته أنه لا يجعله يذهب إلا وهو في عبادة تقربه من الله عز وجل سواء كان في السيارة، أو في العمل، أو في بيته.

يقول الدكتور ناصر الزهراني إمام جامع الشيخ ابن باز في مكة المكرمة: «الشيخ ابن باز لا يفتر لسانه من ذكر الله أبداً، بل لقد

كنت أرقبه وهو يرد على المتصلين، فأراه في أثناء إنصاته لحديث المتصل يلهج بالذكر، وبعد الصلوات لا يقوم من مصلاه إلا وقد أتى بالأذكار كلها، فلقد كانت محبة الله وعظمته والتعلق به ظاهرة جلية ينطق بها لسانه، ويخفق بها جنانه، ويسطرها بنانه، وهذا سر من أسرار التوفيق في حياته، والبركة في عمره وعلمه».

ومن زهده أيضاً: تبرعه بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة. وقد نال الشيخ الجائزة عام ١٤٠٢هـ وذلك بقرار لجنة الجائزة رقم ١١/ ٦٨/ ٨٩ وتاريخ ١٠/ ٨/ ١٣٩٨هـ، وقد ذكرت اللجنة أسباب نيل الجائزة وذلك لخدماته الجليلة المتمثلة في خدمة الإسلام والمسلمين.

وذكر عنه مدير مكتب منزله الشيخ محمد بن موسى فقال: «لا يكاد يُعرف في زماننا أزهد من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، مع أن الدنيا تقبل عليه وتتزين له إلا أنه زاهد فيها، مشيح بوجهه عنها، فلا أذكر يوماً من الأيام أنه سأل عن راتبه، ولا عن مقداره، ولا عن زيادته، ولا عن وقت مجيئه، ولا أذكر أنه سأل عن انتدابه أو عن رصيده أو حسابه، ولا أذكر أنه تكلم ببيع ولا شراء،

أو أمر من أمور الدنيا، بل كان كثير الوصية بالتحذير من الاغترار بالدنيا، وسماحته كان يعيش عيشة القناعة والزهد والكفاف، فلم يكن يتطلع إلى مال أو جاه أو منصب، بل كان ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر، وكان زاهداً بالجاه والمراتب والمديح وحب الذكر، وكان يكره الحديث في تغيير أثاث منزله أو سيارته، ومما يدل على زهده كثرة إنفاقه وإسقاط الدين عمن اقترض منه ولو كان كثيراً، ومن صور زهده، زهده في المديح والإطراء فإذا قرأنا عليه الرسالة التي تفيض بالحب والدعاء والثناء على سماحته قال لنا: اتركوا المقدمة اقرؤوا المقصود، وماذا يريد صاحبها؟ أنا لا أحب أن أسمع مثل هذا الكلام، وإذا مدح تغيَّر وجهه وقال: الله يتوب على الجميع، الله يستعملنا وإياكم فيما يرضيه.

ولهذا قيل عنه:

وزهده في الدنيا لو أن ابن أدهم رآه
ارتأى فيه المشقة والعسرا
وكم رامت الدنيا تحل فؤاده
فأبدى لها نكراً وأوسعها هجرا

أخلاقه وأعماله:

أولاً : أخلاقه:

كان الشيخ على قدر عظيم من حسن الخلق، حتى أصبح من سجيته يتعامل به دون أي تكلف أو تصنع، فأخلاقه ربانية لا تهدف إلى مقاصد مادية بل هي موافقة للشرع المطهر، اتخذ من محمد ﷺ أسوة وقدوة تمثلت في تطبيقه للسنة النبوية علماً وعملاً، فقد تميز ـ رحمه الله ـ برحابة الصدر وسعة البال.

فكان يستقبل الناس صغيرهم وكبيرهم، جاهلهم وعالمهم، حاكمهم ومحكومهم، بتواضع جم وأدب رفيع، فهو لا يغضب عند كثرة الأسئلة أو الاستفسارات، ويتعامل مع الضعفاء والجهال بكل حلم، كما أنه يصبر على الزحام وعلى مضايقات بعض النفوس الضعيفة وعلى كثرة إلحاحهم، لأنه يحمل قلباً رحيماً عطوفاً على الجميع، لا فظاً ولا غليظاً، هين لين، خالق الناس بخلق حسن، فالخلق صورة الإنسان الباطنية، وهو أساس الفضائل وينبوع المكارم، وعين الكمال، ضبط الشيخ أخلاقه بضابط الشرع، ووزنها بميزان الدين.

ومن أشهر مزاياه الأخلاقية: إحسانه إلى الناس، وبذل المعروف، والصدق والوضوح، والصراحة مهما كان الأمر، وقد اشتهر بالأمانة على دين الله، فإذا قال ابن باز قولاً اطمأنت النفوس وهدأت الجوانح إلى قوله، واشتهر بالأمانة على أموال الناس فكانت تدفع له الصدقات والتبرعات وغيرها ليصرفها لمستحقيها، وما ذلك إلا لثقتهم به، واشتهر أيضاً بالحلم فقد كان حليماً صابراً متجلداً، يحبس نفسه ويكظم غيظه، ويضبط حنقه بالذكر والدعاء حتى ينطفئ ما وقع له.

وبالجملة فقد كان رحمه الله حريصاً على السنة ملازماً للأدب، رحب الصدر، طويل الحلم، أريحي النفس، حسن الظن عظيم الرجاء واسع الفأل متوكلاً على الله، مجتهداً في الأسباب، غيوراً على الحرمات رحيماً بالناس رفيقاً بهم، لطيفاً معهم، عطوفاً عليهم، راغباً في قضاء حوائجهم، ناصحاً لهم مكرماً إياهم، محسناً إليهم، حريصاً على هدايتهم مشتغلاً بنفعهم، فهو أنفع الناس للناس.

فهذه الأخلاق التي تجلت في شخص ابن باز مدارها على القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح، حيث نشأ عليها متعلماً

وعاملاً معلماً، فسارت في حياته كما يسير الدم في جسمه، وكيف لا! وسميره كتاب الله، ومبيته مناجاة لله، ونهاره دعوة إلى الله، فرحمه الله رحمة واسعة.

ثانياً: أعماله:

كان للشيخ إسهامات عظيمة في كل أعماله التي تولاها، وبصمات واضحة منذ توليه القضاء حتى الإفتاء، وقد تدرجت مسيرته مع العلم والعطاء خلال عدة محطات رئيسة، قدم فيها القدوة والمثال، واكتسب كثيراً من الخبرات التي أضافت لشخصيته أبعاداً أكثر شمولية، فأول عمل تولاه:

١ . القضاء في الدلم عام ١٣٥٧هـ، في جمادى الآخرة واستمر فيه حتى عام ١٣٧١هـ، وكان طيلة تلك المدة بالإضافة إلى القضاء يقوم بإمامة الناس والإصلاح بينهم وتفقد أحوالهم وتدريس الطلبة، فتخرج على يديه الكثير من طلبة العلم الذين تبوءوا مناصب مهمة بعد ذلك.

٢ . بعد افتتاح المعاهد العلمية بالرياض، انتقل للعمل مدرساً فيها، وذلك عام ١٣٧٢هـ ولمدة سنة واحدة، وبعدها انتقل

للتدريس في كلية الشريعة في الرياض عام ١٣٧٣هـ، ليمضي بها سبع سنوات، وكان في تلك الفترة يؤم المصلين في جامع الإمام تركي بن عبد الله، ويقوم بإلقاء الدروس في المسجد وفي بيته، ويلقي المحاضرات والكلمات المتنوعة في المناسبات وغيرها.

٣. وفي عام ١٣٨١هـ، انتقل إلى المدينة النبوية عند افتتاح الجامعة الإسلامية، وذلك بأمر من شيخه محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية آنذاك، ليكون نائباً له في إدارة الجامعة، ثم تولى إدارة الجامعة نفسها في عام ١٣٩٠هـ بعد وفاة رئيسها الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله حتى عام ١٣٩٥هـ، وكان خلال وجوده بالمدينة النبوية يلقي الدروس في المسجد النبوي بالإضافة إلى المحاضرات والكلمات والندوات، ويشارك في الكتابة من خلال الصحف المجلات.

٤. وفي عام ١٣٩٥هـ في شوال صدر الأمر الملكي بتعينه رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بمرتبة وزير، فرجع إلى الرياض وتولى إمامة جامع الإمام تركي، وكان في الوقت نفسه رئيساً للمجلس التأسيسي لرابطة العالم

الإسلامي، ومجلس المجمع الفقهي، والمجلس الأعلى العالمي للمساجد.

٥. وفي عام ١٤١٣هـ صدر الأمر السامي بتعيينه مفتياً عاماً للمملكة العربية السعودية، ورئيساً لهيئة كبار العلماء، ورئيساً للجنة الدائمة للبحوث العلمية ورئيساً لرابطة العالم الإسلامي، بالإضافة إلى ترؤسه لدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة.

هذه بعض أعماله الرسمية، أما أعماله الخيرية التطوعية فله جهود دعوية كثيرة لجميع المؤسسات والمراكز الإسلامية المنتشرة في كافة أنحاء العالم، كما أن له دعمه الملموس للجهاد الإسلامي، واهتمامات بجمعيات تحفيظ القرآن الكريم الخيرية، ودعم الدعاة ومساعدتهم وكفالتهم، كما أن له اهتماماً بهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمساهمة في بناء المساجد وغير ذلك، وسيأتي مزيد تفصيل ذلك في بيان جهوده الدعوية .

كما تولى رحمه الله رئاسة العديد من المؤتمرات العالمية التي عقدت بالمملكة العربية السعودية، والتي مهدت له ويسرت أمامه سبل الاتصال بالكثير من الدعاة ورجال العلم، وزعماء التجمعات

الإسلامية، والشخصيات البارزة في حقل الدعوة الإسلامية، ومعرفة قضايا المسلمين في كل أنحاء العالم.

مرضه ووفاته:

أولاً: مرضه:

من طبيعة الشيخ رحمه الله أنه كان جلداً صبوراً لا يشتكي ولا يتأوه مع ما مر به من أمراض شديدة في أوقات مراحل عمره، ومع ذلك لم تُثنِه عما هو فيه من الجد والاجتهاد، ومن الدعوة إلى الله والمثابرة على ذلك، حتى إنه في مرضه الشديد أنجز كثيراً من الأعمال الموكلة إليه.

فمرضُ وفاته رحمه الله بدأ منذ عام ١٤١٩هـ، في شهر رمضان حيث كان يشعر بألم في البطن، فاشتد به المرض، فشكلت لجنة طبية بأمر خادم الحرمين الشريفين للنظر في حالته، وعرض عليه السفر للعلاج في الخارج فرفض فأحضر له أطباء من أمريكا وبلجيكا، فلما حضروا أوصوا بكي المريء، فخف الألم قليلاً، ثم عاوده بعد شهرين وهو في الرياض، فدخل المستشفى ثم خرج منه بعد فترة

لاستقرار حالته، ثم أصبحت حالته تتدنى حتى شهر ذي القعدة فنصحه الأطباء بالبقاء في المستشفى ولكن كان قلبه معلقاً بالحج.

وبعد إلحاح شديد من ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز، ترك الحج ووكل نائبه الشيخ عبد العزيز آل الشيخ ليقوم مقامه بالحج، ثم قام في تاريخ ٢٢/١٢/١٤١٩هـ، بأداء العمرة وبقي في مكة حتى نهاية ذي الحجة، ثم انتقل إلى مقره الصيفي بالطائف، فبدأت صحته بالتدني، ومع ذلك كانت همته وعزيمته ونشاطه وعمله، ومزاجه وتفكيره، وذاكرته ودروسه ومواعظه على ما هي عليه قبل مرضه.

وفي يوم الخميس ٢٠/١/١٤٢٠هـ أشتد به المرض فنقل إلى المستشفى العسكري بالهداء في محافظة الطائف، ومع هذا كانت المعاملات تقرأ عليه والمستفتون والزوار يتوافدون عليه من كل مكان، وهو يستقبلهم بتهلل بفرح وسعة بال، واستمر على هذه الحال إلى يوم الثلاثاء ٢٥/١/١٤٢٠هـ فخرج من المستشفى فاستقبل الناس في بيته وجلس لهم بعد المغرب ليلة وفاته فقرئت عليه المعاملات، ورد على الفتاوى المباشرة والهاتفية وقبل الفجر

من يوم الخميس الموافق ٢٢/ ١/ ١٤٢٠هـ يقول ابنه أحمد: صلى الشيخ ما شاء أن يصلي في تلك الليلة، فاضطجع ونام، وبعد ساعة جلس في فراشه، فالتفت يميناً وشمالاً؛ فتبسم ثم اضطجع، وبعد ذلك ارتفعت نفسه وحشرجت، فنقلناه إلى مستشفى الملك فيصل بالطائف وهو يردد: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

ثانياً: وفاته:

وفي صباح الخميس الموافق ٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ لفظ أنفاسه وهو في طريقه إلى مستشفى الملك فيصل بالطائف، ثم نقل إلى ثلاجة القوات المسلحة في الهداء حتى جاء وقت تغسيله وذلك في صباح يوم الجمعة، فنقل جثمانه إلى منزله بمكة المكرمة فغسل، وصلى عليه أهل بيته يتقدمهم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتى عام المملكة العربية السعودية، ثم صلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة وذلك بأمر من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود.

وقد أعلن الديوان الملكي خبر وفاته يوم الخميس الذي مات

فيه ومكان الصلاة عليه ووقتها، مع أمر جميع المسلمين في مساجد المملكة بإقامة صلاة الغائب على الشيخ يوم الجمعة الموافق ٢٨/ ١/ ١٤٢٠هـ، فتوافدت الجموع الحاشدة إلى مكة المكرمة لحضور الصلاة عليه، يتقدمهم ملك المملكة العربية السعودية الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وولي عهده الأمير عبد الله بن عبد العزيز، والنائب الثاني الأمير سلطان بن عبد العزيز، ووزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز، وأمير منطقة الرياض الأمير سلمان بن عبد العزيز، وجمع كبير من الأمراء والوزراء وأصحاب الفضيلة المشايخ وكبار المسؤولين في الدولة، مع أعداد غفيرة من المواطنين والمحبين للشيخ، وكل هذه الجموع حضرت لأن المصاب عظيم، والفاجعة بموته كبيرة، والرزية به عظيمة.

وأم المصلين إمام المسجد الحرام فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل، حيث تحدث في خطبته عن فضل العلم والعلماء وذكر بعض مآثر الفقيد، وعزى الأمة به، وصبر الناس، وبعد صلاة الجمعة قدمت الجنازة فعلا النحيب والبكاء والدعاء للشيخ، فما كادت الجنازة تصل إلى المكان الذي هو أقرب للإمام إلا

بشق الأنفس لكثرة الزحام، ولقد شهدها آلاف مؤلفة من المسلمين حيث سارت في موكب مهيب وسط الجموع الغفيرة إلى مقبرة العدل بمكة المكرمة يتقدمهم فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً للجميع فرحم الله الشيخ رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجعله في الفردوس الأعلى، وحشره في زمرة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين[1].

* قصيدة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي:

قال الدكتور محمد تقي الدين الهلالي في بيت صاحب السماحة الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في مدحه خصوصاً، وفي مدح آل باز عموماً، في اليوم الأول من شعبان سنة ١٣٩٧هـ:

خليليَّ عرِّجا بي لنغتنم الأجرا
على آل باز إنهم بالعُلى أحرى

(١) انتهت الترجمة من كتاب «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز».

فما منهمو إلا كريم وماجد
تراه إذا ما زرته في الندى بحرا
فعالِمهم جلى بعلم وحكمة
وفارسهم أولى عداة الهدى قهرا
فسل عنهمو القاموس والكتب التي
بعلم حديث المصطفى قد سمت قدرا
أعمهمو مدحاً وإني مقصر
واختص من حاز المعالي والفخرا
إمام الهدى عبد العزيز الذي بدا
بعلم وأخلاق أمام الورى بدرا
تراه إذا ما جئته متهللاً
ينيلك ترحيباً ويمنحك البشرا
وأما قرى الأضياف فهو إمامه
فحاتم لم يبق له في الورى ذكرا
حليم عن الجافي إذا فاء بالخنا
ولو شاء أرداه وجلله خسرا

يقابـــل بـــالعفو المـــسيء تكرمـــاً
ويبـــدل بالحـــسنى مـــساءته غفـــرا
وزهـــده في الـــدنيا لـــو أن ابـــن أدهـــم
رآه ارتـــأى فيـــه المـــشقة والعـــسرا
وكـــم رامـــت الـــدنيا تحـــل فـــؤاده
فأبـــدلها نكـــراً وأوســـعها هجـــرا
فقال له: دعني يكفك أنني خطيب
بقلبـك لم أطمـح فحسبي بهـا وكـرا
خطيـــب بليـــغ دون أي تلعـــثم
ومـن دون لحـن حـين يكتـب أو يقـرا
بعـــصر يـــرى قـــراءة اللحـــن واجبـــاً
علـيهم ومحتومـاً ولـو قـرؤوا سـطرا
بتفـــسير قـــرآن وســـنة أحمـــد
يعمـــر أوقاتـــاً ونـــشرها درا
وينـــصر مظلومـــاً ويـــسعف طالبـــاً
بحاجاتـــه مـــا إن يخيـــب مـــضطرا

قـضى في القـضا دهـراً فكـان شريحـه
بخرج أزال الظلم والحيف والقسرا
وجامعـة الإسـلام اطلـع شمـسها
فعمـت بـه أنوارهـا الـسهل والـوعرا
تيممهـا الطـلاب مـن كـل وجهـة
ونـالوا بهـا علـماً فكـان لهـم ذخـرا
لمـن كـان مـنهم ذا خـداع فخـاسر
ومن كـان منهم مخلصاً فلـه البشرى
ولم أر في هـذا الزمـان نظـيره
وآتـاك شـيخاً صـالحاً علـماً بـرا
وأصـبح في الإفتـا إمامـاً محققـاً
بعلـم وأخـلاق بـدا عـرفهم نـشرا
وأمـا بحـوث العلـم فهـو طبيبهـا
مـشاكله العـسرى قـد أبـدلها نكـرا
ويعـرف معروفـاً وينكـر منكـراً
ولم يخش في الإنكـار زيداً ولا عمـرا

ومـا زال في الـدعوى سراجاً منـوراً

دجى الجهل والإشراك يدحره دحـرا

بدعوتـــه أضـــحت جمــوع كثــيرة

تحقــق ديــن الحــق تنــصره نــصرا

ألم تـــره في موســـم الحـــج قـــائماً

كيعـسوب نحـل والحـشود لـه تـترا

ومـــا زال في التوحيـــد بـــدر كمالـــه

يحققـــــه للـــــسامعين وللقـــــرا

ويثبـــت للـــرحمن كـــل صـــفاته

عــلى رغــم جهمــي يعطلهــا جهــرا

ويعلـــن حربـــاً لـــيس فيهـــا هـــوادة

عــلى أهــل إلحـاد ومــن عبــد القــبرا

ومـــا قلـــت هـــذا رغبـــة أو تملقـــاً

ولكـــن قلبـــي بالـــذي قلتـــه أدرى

فيـــا رب متعنـــا بطـــول حياتـــه

وحفظاً لـه مـن كـل مـا سـاء أو ضرا

فلو كان في الدنيا أناس كمثله
بأقطار إسلام بهم تكشف الضرا
فيا أيها الملك المعظم خالد
بإرشاده اعمل تحرز الفتح والنصرا
فأنت لأهل الكفر والشكر ضيغم
تذيقهمو حوباً وتسقيهمو المرا
فلا زلت للإسلام تنصر أهله
وتردى بأهل الكفر ترديهمو كسرا
وحببك الرحمن للناس كلهم
سوى حاسد أو مشرك أضمر الكفرا
وقد أبغض الكفار أكرم مرسل
وإن كان خير الخلق والنعمة الكبرى
عليه صلاة الله ثم سلامه
يدوم في الدنيا وفي النشأة الأخرى
وآله مع أصحابه الدهر ما بكت
مطوقة ورقاء في دوحة خضرا

ومـا طـاف بالبيـت العتيـق تقربـاً
حجـيج يرجـون المثوبـة والأجـرا
ومـا قـاد مـشتاق وقـد بـان إلفـه
خلـيلي عرجـا بي لغتـنم الأجـرا
فيـا أيهـا الأسـتاذ خـذها ظعينـة
مقنعـة شـعثاء تلـتمس العـذرا
فقابـل جفاهـا بـالقبول وأولهـا
مـن العفـو جلبابـاً يكـون لهـا سـترا

مُقَدِّمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن هذا هو الكتاب الأول من سلسلة الفوائد العلمية من الدروس البازية.

وهي فوائد وشروح من دروس سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ ألقاها عامي (١٣٩٨-١٣٩٩هـ) على كتاب «التوحيد».

ولما تميز به هذا الشرح ـ ولو لم يكتمل ـ حرصت على إخراجه ضمن السلسلة، لِما اشتمل عليه من الفوائد العلمية، حيث كانت منهجية الشيخ وطريقته في الشرح في تلك السنوات، تتميز بالإسهاب في شرح المسائل وكثرة الاستدلال من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم، وكذلك العناية التامة برواة الأخبار واستنباط الأحكام من الأدلة.

أسأل الله العلي القدير أن يكتب الأجر والمثوبة لشيخنا

ـ رحمه الله ـ وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

ترجمة الإمام المجدد
محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

هو الإمام العلامة، المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان الـمُشَرَّفي التميمي النجدي، ولد في العيينة بنجد سنة (١١١٥هـ)، في بيت علم وشرف، فقد كان أبوه عبد الوهاب فقيهاً قاضياً، وجده سليمان مفتي بلاد نجد.

حفظ كتاب الله، وقرأ الفقه والتفسير والحديث على والده وعلماء بلده، واطَّلع على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم رحمها الله، رحل إلى علماء الحرمين والإحساء وعلماء البصرة في العراق، والتقى بهم وأخذ عنهم علماً غزيراً في الفقه والحديث وعلومه، وعاد إلى نجد، فسكن حريملاء، وكان أبوه قاضيها بعد العيينة، ثم انتقل إلى العيينة ناهجاً منهج السلف الصالح، داعياً إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما عَلِق بالإسلام من أوهام. وارتاح أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر إلى دعوته فناصره، ثم

خذله، فتوجه إلى الدرعية بنجد سنة (١١٥٧هـ)، فتلقّاه أميرها محمد بن سعود بالإكرام، وقَبِلَ دعوته وآزره كما آزره من بعده ابنه عبد العزيز، ثم سعود بن عبد العزيز، وحاربوا من خالفه، وكان قد جهر بدعوته سنة (١١٤٣هـ).

وراسل علماء البلدان وأمراءها يدعوهم ويبين لهم ما هم واقعون به من مخالفات، وألف الكتب، فاستجاب له الكثيرون، وعانده أهل التعصب للباطل، فجاهدهم بالحجة واللسان، فكتب الله له النصر ولدعوته الامتداد والانتشار، فدانت العباد والبلاد لدعوة الحق، ثم توفي الشيخ الإمام رحمه الله سنة (١٢٠٦هـ) بعد أن استقامت فيها عقيدة التوحيد، وتحكيم شريعة الله في البلاد والعباد إلى يومنا هذا.

أهمية كتاب التوحيد

تتبدى أهمية كتاب «التوحيد» للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، من خلال النظر إلى الواقع الذي عاش فيه هذا الإمام، فقد جاء في وقت انتشرت فيه التيارات المنحرفة عن الصراط الذي ترك رسول الله ﷺ أمته عليه، فعلا فيه صوت البدع، وانتشر دعاة التشبه من أهل الشرك والضلالات التي تتناقض وأصول الدين الصحيح، وكثر عبّاد القبور والمزارات والأحجار، فغدا الأمر خطيراً، وكان لا بد من وجود من يقف في وجه هذه العقائد الفاسدة ويردعها.

وكان من أوائل من وفقهم الله لذلك الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فبذل جهوداً كبيرة في مجال الدعوة بالقول والفعل، وكان كتاب «التوحيد» من جملة هذه الجهود إن لم يكن من أهمها، ذلك أنه بيَّن فيه رحمه الله العقيدة السليمة الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح، وجعله في بيان توحيد الألوهية الذي يعني إفراد الله بالعبادة دون ما سواه، وتوضيح ما يناقضه من

الشرك، وجعل ذلك في أبوب، وساق في كل باب ما يؤيده من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

فكان بذلك مبلِّغاً صادقاً عن كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، وفي هذا يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسين آل الشيخ عن هذا الكتاب: «جاء بديعاً في معناه من بيان التوحيد ببراهينه، وجمع جملاً من أدلته لإيضاحه وتبيينه، فصار علماً للموحدين، وحجة على الملحدين، فانتفع به الخلق الكثير، والجم الغفير....، فأبطل الله بدعوته كل بدعة وضلالة يدعو إليها الشيطان، وأقام الله به علم الجهاد، وأدحض به شُبَه المعارضين من أهل الشرك والعناد، ودان بالإسلام أكثر أهل تلك البلاد، الحاضر منهم والباد»[1]. وهذا قليل من كثير مما يمكن أن يقال بحق هذا الكتاب وأهميته في الجانب الدعوي والتاريخي.

ثم إن هذا الكتاب لم يكن ليلقى هذا القبول والانتشار الواسع لولا أنه جاء مبنيّاً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ويظهر ذلك من خلال سوق المصنف رحمه الله للكثير من آيات الله

(١) ينظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» ١/ ٧.

تعالى في بداية كل باب للدلالة عليه، وحسبك بكلام الله تعالى دليلاً على كل قول! ثم إنه رحمه الله لم يورد من الأحاديث إلا ما صح منها، أو كان حسناً في ذاته أو شواهده، ولم يغفل رحمه الله عن تذكير القارئ في نهاية كل باب ما قاله الله تعالى فيما جعله عنواناً لكل باب، أو ما قال وصح عن رسول الله ﷺ، وفي هذا ما يدل على سعة حفظه واطلاعه، وعمق فهمه، وكل ذلك مما يساعد على ترسيخ الفهم الصحيح للعقيدة السليمة لدى قارئ هذا الكتاب.

شروح الكتاب:

بعد أن كتب الله لهذا الكتاب بالنفع والقبول لدى الناس، طلاب العلم منهم والعلماء، فلا غرابة في أن يحفظه طلبة العلم، ويتناوله العلماء بالشرح والتوضيح والتفصيل، وكان أول من أقدم على شرحه الشيخ سليمان بن عبد الله بن الإمام المجدد محمد ابن عبد الوهاب رحمهم الله، وقد أفاد وأجاد في شرحه، ولكن ما كاد رحمه الله ينتهي من شرحه لهذا الكتاب حتى نال الشهادة ولم يتمه رحمه الله، وكان قد سماه: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد».

وكان أن يسّر الله لشرح هذا الكتاب حفيد الشيخ الآخر عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ فأتم ما بدأه الشيخ سليمان، فهذبه وأدخل عليه ما استحسنه من النقول تتميماً للفائدة وسماه: «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد».

وكان قد صدر مؤخراً شرحاً للشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان وسماه: «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد».

ثم صدر بعد ذلك مجموعة من المختصرات لشرح الشيخ عبد الرحمن بن حسن ومن هذه المختصرات:

مختصر «قرة عيون الموحدين» للشارح نفسه.

مختصر «إبطال التنديد» للشيخ حمد بن عتيق.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، وصَلَّى الله وسَلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِه وصحبِه أجمعينَ:

قال الشيخُ محمدُ بنُ عبدِ الوَهَّاب رحمه الله تعالى: وهو الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، ابن سليمان بن علي التَّميمي الحنبلي المعروف، مجدِّد الإسلام في جزيرة العرب، في وسط القرن الثاني عشر، المتوفَّى سنة ست ومئتين وألف ـ رحمه الله ـ في ذي القَعْدة:

باب

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

۞ وقولِ الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء:٥٧].

وقولِه: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨ ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨].

وقولِه: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

وقولِه تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ =

= أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة:١٦٥].

وفي «الصحيح» عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ، وكَفَر بما يُعبَدُ مِن دونِ الله حَرُمَ مالُه ودمُه، وحِسابُه على الله»[1]، وشرحُ هذه الترجمةِ ما بعدَها من الأبواب.

فيه أكبرُ المسائلِ وأَهمُّها: وهي تفسيرُ التَّوحيدِ، وتفسيرُ الشهادةِ، وبيَّنها بأُمورٍ واضحةٍ:

منها: آيةُ الإسراءِ: بَيَّنَ فيها الردَّ على المشركينَ الَّذين يَدْعونَ الصالحينَ؛ ففيها بَيانُ أَن هذا هو الشِّركُ الأكبرُ.

ومنها: آيةُ براءةَ: بيَّن فيها أَنَّ أَهلَ الكتاب اتَّخذُوا أَحبارَهم ورُهبانَهم أَرباباً من دُونِ الله، وبيَّنَ أَنهم لم يُؤْمَروا إلَّا بأَنْ يَعبُدُوا إلهاً واحداً، مع أَنَّ تَفْسيرَها لا إِشكالَ فيه: طاعةُ العلماءِ والعُبَّاد في غيرِ المعصيةِ، لا دُعاؤُهم إيَّاهم. =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٣).

= ومنها: قولُ الخليل ـ عليه السلامُ ـ للكُفَّار: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، فاستَثنى من المعبودِينَ ربَّه، وذَكَرَ ـ سبحانه ـ أَنَّ هذه البراءةَ وهذه المُوالاةَ هي تفسيرُ شهادةِ أَنْ لا إِلهَ إلا اللهُ، فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

ومنها: آيةُ البقرة في الكُفَّار الذين قال اللهُ فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]؛ ذَكَر أَنهم يُحِبُّون أَندادَهم كحُبِّ الله، فدَلَّ على أَنهم يُحِبُّون الله حُبّاً عظيماً، ولم يُدخِلْهم في الإسلامِ؛ فكيف بمَنْ أَحَبَّ النِّدَّ أكبرَ مِنِ حُبِّ الله؟! وكيف بمَن لم يُحِبَّ إلا النِّدَّ وحدَه ولم يحبَّ اللهَ ؟!

ومنها: قولُه ﷺ: «مَن قالَ: لا إِله إِلَّا اللهُ، وكَفَرَ بما يُعبَدُ مِن دونِ الله؛ حَرُمَ مالُه ودَمُه، وحِسابُه على الله»، وهذا مِن أَعظمِ ما يُبيِّنُ معنى «لا إِله إِلَّا الله» فإنَّه لم يجعلِ التلفُّظَ بها عاصماً للدَّمِ والمالِ، بل ولا معرفةَ معناها معَ لَفظِها، بل ولا الإقرارَ بذلك، بل ولا كَونَه لا يدعُو إلا اللهَ وَحدَهُ لا شريكَ =

= له، بل لا يَحْرُمُ مالُه ودَمُه حتَّى يُضيفَ إلى ذلك الكفرَ بما يُعبَدُ مِن دُونِ الله، فإنْ شكَّ أَو تَوقَّف؛ لم يَحْرُمْ مالُه ولا دَمُه. فيا لها مِن مسألةٍ ما أَعظَمَها وأجَلَّها! ويا له مِن بيانٍ ما أَوضَحَه! وحُجَّةٍ ما أَقطَعَها للمنازِعِ!"(1).[١]

[شرح ١] قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

هذه الآية فيها بيان أن المحبة من خصائص الرب ﷻ وأنها عبادة له سبحانه، وهي محبة مختصَّة غير المحبة الطبيعية التي يحبها الناس لأولادهم وأقاربهم ومأكلهم ومشربهم.

فهذه الـمحبَّة للعبودية، وهي الذل للمعبود والمحبوب، والخضوع له، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ونحو ذلك، إنما هي مختصَّة بالله ﷻ، والذي يستحق كلَّ هذا هو الذي ينبغي أن يُـحَبَّ محبةً خاصة خالصة تقتضي الخضوع له، والذل له، والقيام بأوامره، =

---

(1) ص٢٥٥-٢٥٧.

والطبعة المعتمدة في العزو إليها من «كتاب التوحيد» هي التي ضمن كتاب «الجامع للمتون العلمية» جمع عبد الله بن محمد الشمراني، ط٢ نشر دار الوطن.

....

= وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده تبارك وتعالى.

وهذه المحبة إذا صَرَفَها لصنم أو وثن أو ميت أو ما أشبهَ ذلك، بحيث يعتقد فيه أنه جديرٌ بأن تُنفَّذ أوامره، ويُحلَّل ما أَحل، ويُحرَّم ما حرَّم، وما أشبه ذلك، كان هذا شركاً بالله عز وجل، وهذه هي المحبة التي فعلها المشركون مع أوليائهم، ومع معبوداتهم، فقد أحبُّوهم محبة تقتضي عبادتهم إياهم، في طلبهم البركةَ، والنصرَ على الأعداء، وشفاءَ المرضى، وما أشبه ذلك، فصار شركاً بالله، وصاروا بهذا مشركين، ومتوعَّدين بالعذاب، وعدم الخروج من النار ـ والعياذ بالله ـ لكفرهم بالله، وتنفيذهم مطلقَ هذه المحبة التي أحبوها لأوثانهم وأندادهم، حتى شَرَكوهم مع الله في العبادة.

أما المحبة المعتادة التي جَبَلَ اللهُ الناس عليها، مِن محبتهم مَن أحسن إليهم، فهي محبة اعتيادية، لا تقتضي العبادةَ لهم.

فمحبةُ الإحسان، أو محبة القرابة، أو محبة الطبع: كمحبة المأكل الطيب والشراب الطيب، وما أشبه ذلك ـ ليست داخلة في =

....

= هذا الباب، وليست من باب العبادات، بل هي من باب العادات.

أما المحبة في الله، بأن يحبَّ الإنسانُ أحداً لله؛ لأنه من عباد الله، ومن الصلحاء؛ كمحبة الرسل والأنبياء وأهل الإيمان، فهذه قُرْبة وطاعة لله، وهي من العبادات التي لا تُصرف إلا له سبحانه وتعالى.

فالمحبة أقسام ثلاثة:

القسم الأول: محبة مع الله، وهي محبة مختصَّة، لا تجوز إلا لله سبحانه وتعالى.

القسم الثاني: محبة في الله، وهذه قُربة لله واجبة، فالحب في الله والبغض في الله من أوثق عُـرَى الإيمان.

القسم الثالث: محبة طبيعية، وهي محبةُ من أحسن إليه، كمحبة أقاربه ومحبة المأكولات الطيبة والمشروبات، وهذه غير داخلة في العبادة.

وأما قول النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبَد من دون الله، حَرُمَ مالُه ودمُه، وحسابُه على الله عز وجل»، فهذا الحديث =

....

= رواه مسلم في «الصحيح»[1] من حديث أبي مالك الأشجعي ـ وهو صحابي مشهور ـ عن أبيه طارق بن أَشْيَم أن النبي ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله»، وفي لفظ: «مَن وَحَّدَ اللهَ وكفر بما يُعبَد من دون الله»، وكلاهما عند مسلم[2].

وهذا يبين لنا أن معنى «لا إله إلا الله» هو التوحيد، ولهذا فالنبي ﷺ قال: «من وحَّد الله»، أو «من قال: لا إله إلا الله»، أي: من قال: إنه لا معبودَ بحقٍّ إلا الله، ووَحَّدَه بالعبادة، أي: اعتقده واحداً، وصَرَف له العبادة، أي: خصَّه بها دون كل ما سواه، فهذا هو التوحيد، وهو معنى «لا إله إلا الله».

ومِن لازمه الكفرُ بما يُعبَد من دون الله، ولذلك صرح به في الحديث فقال: «وكفر بما يُعبَد من دون الله» أي: تبرَّأ منه وأنكره، واعتقد بطلانه، وهذا هو التوحيد: أن توحِّد الله وحده، وأن تعتقد =

(١) مسلم: الإيمان (٢٣)(٣٧).

(٢) مسلم: الإيمان (٢٣)(٣٧).

....

= بطلان عبادة غيره، وكُفرَ مَن عبد غيره ﷻ. وهذا معنى قوله ﷻ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

فالكفر بالطاغوت، معناه: البراءة منه، وإنكاره، واعتقاد بطلانه، وأن العبادة بحق لله وحده ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج:٦٢].

قال مؤلف «تيسير العزيز الحميد» رحمه الله: وهذا من أعظم ما يبيِّن معنى «لا إله إلا الله».

قال في «المسائل»: فإنه لم يجعل التلفظَ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفةَ معناها مع التلفظ بها، بل ولا الإقرارَ بذلك، بل ولا كونَه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يَحرُم دمه وماله حتى يُضِيفَ إلى ذلك الكفرَ بما يُعبَد من دون الله، فإن شَكَّ أو تردد؛ لم يحرم مالُه ودمُه. =

....

= قال: فيا لها من مسألة ما أجلَّها! ويا له من بيان ما أوضحَه! وحُجةٍ ما أقطعَها للمنازع[1]. انتهى

قلت: المقصود من هذا الكلام أن توحيد الرب ﷻ وإفراده بالعبادة يقتضي اعتقادَ بطلان عبادة غيره، والكفر بها، وإنكارها، والبراءة منها، ومن أهلها.

فمَن عَبَدَ اللهَ، ولَمْ يعتقد بطلانَ عبادة غيره، كأن يعتقد أن اليهود أو النصارى ليسوا على باطل، أو عُبَّاد الأوثان ليسوا على باطل، بل يقول: دعنا منهم، ولا يقول: هم على باطل، فهذا ما عَرَفَ اللهَ ولا عَبَد الله؛ إلى أن يعتقدَ بُطلانَ عبادةِ غيرِهِ.

فالله هو المعبود بالحق، وما سواه معبود بالباطل، سواء كان المعبود بالباطل نبياً أو ولياً أو ملائكةً أو غيرَ ذلك، فكلُّ مَن عبد غيرَ الله فعبادته باطلة، لأنه عبد غيره سبحانه، وترك الحقَّ الواجب عليه، فلا بد من الأمرين: من عبادة الله وحده، ومن الإيمان =

(١) انظر «تيسير العزيز الحميد» ص١١٨.

....

= ببطلان عبادة غيره، وأنه سبحانه هو المستحق للعبادة دون كل ما سواه جل وعلا.

فلا بد من البراءة من عبادة غيره وإنكار ذلك، والبراءة من عابديها، حتى يكون موحِّداً خالصاً لله.

وهذا هو تمام التوحيد: كفرٌ بالطاغوت، وإيمانٌ بالله، وهذا معنى قوله جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦] أي: الكفر بأهل الطاغوت، فكفروا باعتقادها وآمنوا بأنها باطلة، والنصوص كلها تبيِّن هذا المعنى، وتُوجِّه، وتُرشِد إليه. والله الموفِّق.

باب الشفاعة

۞ قال المؤلف رحمه الله: باب الشفاعة[1].[٢]

[شرح ٢] قال المؤلف رحمه الله: (باب الشفاعة) هذه الشفاعة أقسام، وأراد المؤلف رحمه الله هنا باب بيان الشفاعة المنفية والمثبتة؛ حتى يعرف المؤمن هذه وهذه، وقد تعلق كثير من عباد القبور بالشفاعة، وزعموا أن دعاءهم للأولياء والصالحين، واستغاثتهم بهم، والوقوف على قبورهم من أجل الشفاعة؛ فأراد المؤلف أن يبين أن هذه الشفاعة التي يريذونها في الحقيقة إنما سعوا إليها بضدها؛ سعوا إليها بالأسباب التي تبطلها وتضاد حصولها لهم، فالشفاعة المراد بها هنا شفاعة الأنبياء والصالحين والأفراد وغيرهم للمشفوع فيهم رجلاً أو امرأة.

وهذه الشفاعة قسمان:

قسم ثابت للنبي ﷺ ولغيره من الناس، وقسم منفي، والدليل =

---

(١) ص٢٧٥.

....

= على هذا ما ذكره المؤلف من الآيات: قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٥١] فهذه الآية فيها نفي الشفاعة، وأنه ليس هناك ولي ولا شفيع كي ينصرهم من عذاب الله ويجيرهم منه.

هناك أولياء لله ولكنهم لا ينصرون عباد غير الله، ولا ينصرون العاصي فيجيرونه من عذاب الله؛ فكل مشغول بنفسه، ليس لهم قدرة أن ينجدوا أحداً ولا أن يشفعوا لأحد إلا بإذن الله تبارك وتعالى.

فالمراد بالشفاعة المنفية هنا: الشفاعة التي يظنها المشركون ولم تحصل لهم من الأنبياء والصالحين بغير إذن الله وبغير رضاه تبارك وتعالى، هذه باطلة فلا شفاعة إلا بإذن الله، ولا شفاعة إلا برضاه؛ ولهذا قال: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ يعني: ولياً ينقذهم من عذاب الله أو يشفع لهم، فليس لهم هذا، وإنما يحسن ذلك لمن أذن الله له ونزه قوله وعمله تبارك وتعالى؛ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤].

فهذه في إثبات الشفاعة وأنها حق ولكنها لله لا لغيره هو =

....

= الذي يتصرف فيها تبارك وتعالى، فيأذن لمن يشاء ويمنع من يشاء.

قال عز وجل: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥] قال عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨] قال عز وجل: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦].

ففي هذه الآيات بين أن الشفاعة ثابتة وأنه ملكه، وأنه لا يشفع أحدهم إلا بإذنه، وأنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى، وأنهم لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، ففي هذا إثبات الشفاعة بشروطها فالشفاعة الشرعية حق، لكنها بشروطها المتمثلة بشرطين:

أحدهما: إذن الله للشافع.

والثاني: رضاه عن المشفوع فيه.

وبين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الله في كتابه أيضاً أن الكفار ليسوا مرضيين فلا تكون لهم الشفاعة قال عز وجل: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ =

....

= غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر:٧]؛ ولأنه لا يحب الفساد ﷻ.

وقال النبي ﷺ لما قيل له: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نَفسِه»[1] وقال في «الصحيح» أيضاً من حديث أنس: «إن لكل نبي دعوة مستجابة، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، فهي نائلة إن شاء الله لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»[2] بشرط النبي ﷺ في ذلك أن يكون من أهل التوحيد لا من أهل الشرك، فعلم بذلك أن المرضي هو صاحب التوحيد لا صاحب الشرك.

فهذا يدل على أن هؤلاء الذين طلبوا الشفاعة من طريق دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر لهم قد طلبوها بالسبيل الذي يمنعها، وبالوسيلة التي تمنعها في حقهم وهو الشرك، وبذلك يعلم =

(١) أخرجه البخاري: العلم (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري: الدعوات (٦٣٠٤)، ومسلم: الإيمان (١٩٩).

....

= أن الشفاعة المنفية هي المطلوبة في غير الله، أو المطلوبة بغير إذنه ﷻ، أو بغير رضاه جل وعلا، هذه الشفاعة التي يظنها المشركون تحصل من غير إذن الله، أو من غير رضاه، أو تحصل من طريق الأولياء، أو الصالحين والملائكة، فهذا كله باطل إلا بإذنه ورضاه ﷻ.

وهو يدل أيضاً على أن الشفاعة الثابتة هي التي تكون بإذنه ورضاه، فهذه شفاعة ثابتة وهي الشفاعة التي بينها الله في كتابه وبينها الرسول عليه الصلاة والسلام، وهي أنواع:

النوع الأول: الشفاعة العظمى يوم القيامة، وهي خاصة بالنبي ﷺ؛ فيشفع لأهل الموقف حتى يقضى بينهم، بعدما يأذن الله له في ذلك.

النوع الثاني: الشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهذا خاص به ﷺ فيشفع فيهم حتى يدخلوها بعد إذن الله ﷻ.

النوع الثالث: خاص بالنبي ﷺ وهو الشفاعة في أبي طالب بالتخفيف عنه. =

....

= وهناك شفاعة أخرى وهي شفاعة من دخل الجنة أن يزاد ثوابه، هذه عامة، كذلك من دخل النار من أهل التوحيد أن يخرج منها، ومن لم يدخلها ألا يدخلها من أهل التوحيد؛ هذه عامة للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء والمؤمنين، والأفراد والملائكة، وهذه الشفاعة حق؛ لكن بعد إذن الله ورضاه في أهل المعاصي.

وقد أتت النصوص المتواترة أن بعض أهل المعاصي يدخلون النار، وأنه يشفع نبيهم فيهم أربع شفاعات،حتى يخرجوا من النار؛ ويشفع الملائكة ويشفع المؤمنون وتشفع الأفراد، ثم يبقى بقية في النار من أهل التوحيد يخرجهم الله سبحانه وتعالى منها، هذا بفضله وجوده جل وعلا.

والخلاصة أن الشفاعة قسمان:

القسم الأول: قسم باطل: وهو الذي يطلب من غير الله أو يظن أنه يحصل بغير إذنه وبغير رضاه، وهذا باطل.

القسم الثاني: ثابت: وهو أنواع: =

....

= منها: الشفاعة العظمى كما سلف، وهي للنبي ﷺ خاصة، يشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم.

ومنها: الشفاعة لأهل الجنة حتى يدخلوها، وهاتان خاصتان بالنبي ﷺ.

ومنها شفاعة ثالثة: وهي الشفاعة في أبي طالب أن يخفف عنه؛ لما حصل من نصره للنبي ﷺ وتأييده له، وحمايته له، وقد وقع هذا فقد أخبر به النبي ﷺ أنه شفع فيه عليه الصلاة والسلام.

وهناك أنواع أخرى منها: شفاعة في أهل النار أن يخرجوا منها، ومن يقترف المعاصي أن لا يدخلها.

وشفاعة في زيادة الثواب ورفع الدرجات، وهذه ليست خاصة بالنبي ﷺ؛ بل هي مشتركة بين الأنبياء والمؤمنين والملائكة والأفراد، الكل يحصل له ما أراد الله من الشفاعة ﷻ.

ولكنها لا تحصل إلا لأهل المعاصي فقط، لا تحصل للكفار؛ فهم لا حظ لهم في الشفاعة، قال جل وعلا: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ =

....

= ﴿ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨] وقال: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨] الظالمين يعني: المشركين فليس لهم شفاعة.

فالشفاعة خاصة بأهل التوحيد أبداً، بإجماع أهل العلم، وبالنص القرآني ونصوص السنة، فهي للعصاة خاصة يشفع فيهم الأنبياء والصالحون والمؤمنون والملائكة، ويخرج الله من النار بشفاعتهم الجم الغفير، ويبقى من أهل التوحيد في النار جماعة لا يحصيهم إلا الله ﷻ، فيخرجهم ﷻ بمحض رحمته جل وعلا، وهم آخر من يبقى في النار، ثم بعد ذلك تغلق على أهلها من الكفرة، فلا يخرج منها أحد بعد ذلك؛ نسأل الله العافية ولا حول ولا قوة إلا بالله*.

---

* س: إذا دعاني شخص للغداء، وفيه دجاج فرنسي، آكل منه أم أمتنع؟

ج: الأصل في الدجاج وغير الدجاج أنه لا يخلو من حالين:

النوع الأول: يكون من أهل الكتاب مما صدره أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهذا الأصل فيه الحل، إلا أن تعلم أنه ذبح على غير الشريعة بالخنق أو بالوقذ، فهذا لا يحل لك إذا عرفت أن هذه المجزرة وأن هذا الشخص ذبحه على غير الشريعة بالخنق أو بالوقذ أو غير ذلك. =

....

= النوع الثاني: ما يقع من الوثنيين والشيوعيين: يعني: غير أهل الكتاب، أي: الكفرة، فهؤلاء لا تحل ذبيحتهم عند جميع أهل العلم، فإذا عرفت ذبيحتهم فلا تحل عند جميع أهل العلم.

أما ما يوجد الآن ويزعم أنه ذبح على الطريقة الإسلامية؛ فهذا فيه نظر؛ لأنهم غير مأمونين، ولا يوثق بأخبارهم، ولأنه قد وجد ما يدل على كذبهم؛ فالأولى بالمؤمن وفي حقه ألا يتساهل في هذا، أي: ما يرد من الشيوعيين والوثنيين كالهند وكبلغاريا ورومانيا وما أشبه ذلك من البلاد الشيوعية؛ أما ما جاء من فرنسا أو انجلترا أو الدنمارك فهذه بلاد نصرانية والأصل فيها الحل، فيأكل منها الشخص، وليس فيها شيء، ولا حرج ـ إن شاء الله ـ إلا أن يعلم أن هذا الشيء جاء من مجزرة معينة غير شرعية فيكون غير شرعي.

س: شيخ في هيئة كبار العلماء أفتى أنه لا حرج في الدجاج الأسترالي المذبوح على الطريقة النصرانية؟

ج: الجامع ـ بارك الله فيك ـ قول الله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمۡ﴾ [المائدة:٥]؛ فالجامع أن طعامهم حل لنا، والله أحل لنا الطيبات وأحل لنا طعامهم؛ فهذا جامع، فإذا عرفت أنه محرم فادفعه، وإلا فالأصل الحل. =

....

= يشتبه علينا أخبار وأخرى.

لا شيء عليك كل الطيب ودع المشتبه.

س: المصانع الآن في أوروبا قد لا يكون بينها اختلاف؛ إنما التشابه موجود في كيفية الذبح، وهو على غير الطريقة التي لا تبيحها، هذا في جميع المصانع؟

ج: ما مررت بها ولا جئتها.

س: أخبرنا من مر بهم.

ج: كلا، قد أخبرنا بعد أن من مر بها أن منها من يذبح ذبحاً شرعياً، ومبعوثنا في دول كثيرة أخبرنا عن بعضها، أن بعضهم يذبح ذبحاً شرعياً، وغيرها لا يذبح ذبحاً شرعياً.

والقاعدة هي من عرف أن هذا الشيء محرماً فلا يأكله، ومن لم يعرف ذلك فالأصل التفصيل؛ فما كان من طعام أهل الكتاب، ومن ذبائح أهل الكتاب فالأصل فيه الحل حتى يعرف تحريمه، ومن كان من الشيوعيين وأشباههم فالأصل فيه التحريم، حتى يعرف أنه تولاه مسلم هذا هو الأصل، وإذا لم تعرف فالحمد لله، عندك اللحوم الأخرى تكتفي بها، وينبغي أن يحتاط الإنسان لنفسه ولا يحرم على الناس، والذي يحتاط لنفسه جزاه الله خيراً. =

....

= س: وصف النار يعني: المؤصدة هل المقصود به الإطباق؟

ج: يعني: تؤصد أبوابها، مثل ما قال الله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٨-٩] نسأل الله العافية.

س: الذي يبيع الدجاج المشبوه هل كسبه فيه شبهة؟

ج: على كل حال فيه تفصيل الذي فيه شبهة والذي ليس فيه شبهة على حسب الحال.

س: نخشى أن نحرم شيئاً قد أحله الله، أو أن نأكل شيئاً قد اشتبه علينا فنقع في الإثم.

ج: الله يعافينا.

۞ قال رحمه الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣].

قال أبو العباس: نفى اللهُ عما سواه كلَّ ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكونَ لغيره مُلكٌ، أو قِسطٌ منه، أو =

= يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعةُ، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذنَ له الربُّ كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

فهذه الشفاعةُ التي يظنُّها المشركونَ هي منتفيةٌ يومَ القيامة كما نفاها القرآنُ، وأخبر النبيُّ ﷺ أنه يأتي فيسجد لربِّه ويحمدُهُ لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال له: ارفَع رأسَكَ، وقلْ يُسمَع، وسَلْ تُعْطَه، واشفَع تُشفَّع[١].

وقال له أبو هريرة: مَن أسعدُ الناسِ بشفاعتِكَ؟ قال: «مَن قال: لا إله إلا الله خالصاً مِن قلبِه»[٢].

فتلك الشفاعةُ لأهلِ الإخلاصِ بإذنِ الله ولا تكون لمن أشركَ بالله[٣].[٣]

[شرح ٣] يقول الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ =

---

(١) أخرجه البخاري: التفسير (٤٤٧٦)، ومسلم: الإيمان (١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري: العلم (٩٩).

(٣) ص٢٧٥-٢٧٦.

....

= زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٢- ٢٣].

بيَّن ﷻ في هاتين الآيتين بياناً شافياً في نفي كل ما يتعلق بالشرك؛ فإن المشرك قد يتعلق بمعبوده بسبب اعتقاده أنه مالك، أو له قسط من الملك، أو عون لمالك، أو شفيع عند المالك، هذه أربعة أمور.

فالمشركون قد يتعلقون بغير الله في طلبهم الشفاعة، أو شفاء مرضاهم أو نحو ذلك لأحد أمور أربعة؛ إما لاعتقادهم أنه مالك لما يطلب منه، وأن الله تعالى أعطاه هذا الشيء وجعله ملكاً له، أو لأنه شريك، أو لأنه عون للمالك من حيث إنه له التصرف، أو أنه شفيع بغير إذنه فيشفع مطلقاً.

هذه الأمور الأربعة التي يظنها المشركون على اختلاف أنواعهم وطبقاتهم نفاها الله ﷻ نفياً مرتباً، حتى لا تبقى للمشركين =

....

= علقة ولا صلة بهذا الأمر الذي يتعلقون به وأشركوا بالله من أجله، قال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

(قل) يا محمد لهؤلاء (ادعوا)، وهذا أمر تهديد وأمر تقريع وتوبيخ، وأن هذه الدعوة لا تنفعهم بل تضرهم، (زعمتم) الزعم: الكذب، يعني: كذبتم في أنهم شركاء لله جل وعلا.

ثم بين جل وعلا أن هؤلاء المدعوين لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض؛ لأنهم ليسوا مالكين لشيء من السماء ولا شيء من الأرض ولا شيء مما فيهما، ولكنهم فقراء ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣].

يعني: غشاء النواة، بل الملك كله لله ﷻ، المخلوق وما ملك المخلوق، كله لله ﷻ، فأهل السماوات وأهل الأرض ومساكنهم وما في أيديهم كله ملك لله ﷻ، فهو الذي خلق وما من إله غيره ﷻ.

﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾ معروف أن الذرة من أصغر المخلوقات وأحقر المخلوقات، والمعنى أنهم لا يملكون شيئاً ولو =

....

= مقدار الذر، ثم قال: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ لا شريك له في شيء من السماوات والأرض، فكلهم فقراء مربوبون مخلوقون مدبرون مصرفون.

﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ هذا الثالث يعني: معاوناً يستقل بالعون والتصرف، بل جميعهم مخلوقون، ومربوبون، ومصرفون، فليس لهم ملك، ولا شرك، ولا مظاهرة ولا معاونة.

ثم بقيت الشفاعة التي يتعلق بها المشركون ويظنون أنها تحصل لهم من الملائكة والأنبياء ومن الصالحين مطلقة، فقال بعده: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ وهذا الرابع، فالشفاعة لم ينفها مطلقاً، ولا يثبتها مطلقاً، بل نفاها بغير إذنه، وأثبتها بإذنه، كما في الآية الأخرى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤] فهي ملك له سبحانه، يعطيها من يشاء بإذنه جل وعلا، فهذا هو الحق في =

....

= الشفاعة أنها مملوكة لله يعطيها لمن يشاء وينفيها عمن يشاء، فلا يعطيها إلا لمن يرضى الله قوله وعمله خاصة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦] فهذه الشفاعة التي يتعلقون بها مقيدة غير مطلقة، فتعلقهم بالملائكة والأنبياء غلط منهم؛ لأن الملائكة لا يملكونها والأنبياء لا يملكونها، فضلاً عن غيرهم؛ فإذا كانت الملائكة والأنبياء لا يملكونها فالأفراد وبقية المخلوقين من باب أولى، فهي ملك لله تبارك وتعالى يعطيها من يشاء ويأذن فيها لمن يشاء تبارك وتعالى.

فالواجب على العاقل أن يأخذ بأسبابها ويطلبها من مالكها، فأسبابها طاعة الله واتباع شريعته، والمالك هو الله، فيطلبها منه فيقول: اللهم شفع فيَّ ملائكتك، اللهم شفع فيَّ أنبياءك، وما أشبه ذلك، فهو المالك تبارك وتعالى، أو تقول: اللهم لا تحرمنا شفاعة نبيك أو شفاعة عبادك الصالحين، فكل هذا حق.

أما أن يقول: يا رسول الله اشفع لي، بعد وفاته، أو يا ملائكة =

....

= الله، أو يا أولياء الله، أو ما أشبه ذلك ـ فهذا كله خطأ، وأما مع الحي فلا بأس، كأن يقول: يا فلان وهو حي حاضر قادر كما كان الصحابة في حياة النبي ﷺ يقولون: يا رسول الله اشفع لي في كذا، لا بأس في ذلك، فتقول: يا أخي اشفع لي، يعني ادع الله، اشفع لي عند الله في أن يغفر ذنبي، ادع الله لي أن يرحمني، ادع الله لي أن يشفيني من هذا المرض، ادع الله أن يردني إلى أهلي سالماً.

فالمقصود أن الدعوات التي يطلبها من أخيه الحي الحاضر القادر لا بأس بها؛ لأنه طلب شيء يقدر عليه وهو حي حاضر، بخلاف الطلب من الأموات أو الجمادات كالأصنام، أو الغائبين كالجن والملائكة، فهذا كله شرك بالله ﷻ لا يجوز.

وإنما الجائز أن تطلب شيئاً من حي حاضر يقدر عليه، تقول: يا أخي أعني على كذا، يا أخي أقرضني كذا، يا أخي أعني على حرثي، يا أخي أعني على إصلاح بيتي أو إصلاح سيارتي، يا أخي ادع الله لي، فلا بأس بكل هذا، فهذا جائز من الحي الحاضر القادر. =

....

= وقال المؤلف بعد ذلك: (وقال أبو العباس) أبو العباس ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني المشهور بشيخ الإسلام ابن تيمية، يلقب بتقي الدين ويلقب بشيخ الإسلام، وهو كذلك، فإنه تقي الدين وهو شيخ الإسلام وسيف زمانه، فقد دعا إلى الله ونصر الحق وجاهد الشرك وأهله، وله مقامات عظيمة في جهاد الشرك وأهله، وفي نصر الحق بلسانه وقلمه رحمه الله.

وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وهو من الدعاة إلى الله ومن أفراد الحق فيهما جميعاً، عاش في آخر السابعة وفي أوائل الثامنة رحمه الله، وأعماله وجهاده ومؤلفاته أمر معلوم عند أهل العلم.

يقول رحمه الله: (نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون) يعني: في هذه الآية الكريمة (فنفى أن يكون لغيره ملك) فهم لا يملكونه (أو قسط منه) وذلك قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ [سبأ:٢٢] (أو يكون عونا لله) وذلك في قوله: =

....

= ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ:٢٢].

ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨] وكما قال سبحانه ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

(وهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن) هي منتفية عنهم؛ لأنهم تعلقوا بها وطلبوها من الملائكة ومن الجن ومن الأنبياء، فهي منتفية عنهم كما نفاها القرآن ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣].

وكقوله سبحانه: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨] وقوله سبحانه: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨] في آيات نفاها الرب عنهم لأنهم يظنون أنها تحصل لهم بمجرد دعوتهم لغير الله، وهذا باطل.

فتلك الشفاعة لا تحصل إلا لمن أذن الله له ورضي قوله وعمله، فهي منفية عن المشركين بنص الكتاب العظيم ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ =

....

= ﴿شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾.

هذا هو الحق في هذا الباب، ثم المأذون له والذي تقع له الشفاعة لا بد أن يكون مرضي القول والعمل، وهم أهل التوحيد كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ فهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد، ولا يرضى الشرك، قال ﷻ: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾ [الزمر:٧].

ولما قال له أبو هريرة: من أسعد الناس بالشفاعة يا رسول الله؟ قال: «من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه»[١].

فالشفاعة إنما تقع لأهل التوحيد وهم أهل لا إله إلا الله الذين يقولونها خالصاً من قلوبهم عن إيمان وعن تصديق وعن اعتقاد أن الله هو المعبود بالحق ﷻ، لا من يقولها بمجرد اللسان ولا يعرف معناها ولا يعتقد معناها، فهذا ليس من أهل التوحيد.

فإن أهل التوحيد الذين يقولونها، يقولون: لا إله إلا الله =

---

(١) أخرجه البخاري: العلم (٩٩).

....

= خالصة من قلوبهم عن بينة وعن بصيرة، فيعرفون أنها تبطل عبادة غير الله، وأنها تدل على أن الله هو المعبود بحق ﷻ.

وهكذا قوله في الحديث الصحيح الآخر: «وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا»[1].

هذا الجزء من حديث أبي هريرة دل على أنه لا بد في المشفوع فيه أن يكون من أهل التوحيد، لا من أهل الشرك، أهل الشرك لا تنفعهم الشفاعة ولكنها خاصة بأهل التوحيد والإيمان، لا بأهل الشرك والنفاق نعوذ بالله من ذلك.

وبهذا تعلم أن ما يتعلق به المشركون في الدنيا في الشفاعة شيء باطل، وأن الواجب عليهم إخلاص العبادة لله وحده وسؤال الشفاعة من مالكها، وهو الله سبحانه، لا من الناس، ولا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من غيرهم، بل تطلب من الله وحده =

(١) أخرجه البخاري: الدعوات (٦٣٠٤)، ومسلم: الإيمان (١٩٩).

....

= المالك لها، فيقول: اللهم شفع في نبيك أو ملائكتك، ما أشبه ذلك، أو: اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك عليه الصلاة والسلام، اللهم اجعلني من أهل شفاعته، وما أشبه هذا من الكلام الطيب.

أما أن يقول: يا رسول الله اشفع لي، أو يا عبد القادر اشفع لي أو يا فلان اشفع لي، أو يا ملائكة الله اشفعوا لي، أو يا معشر الجن اشفعوا لنا، فهذا كله من عمل أهل الشرك فلا يجوز*.

---

* س: في مجلة المجتمع الكويتي في آخر عدد أحد الكتاب أحل التصوير.

ج: قرأته وسوف نكتب عنه إن شاء الله.

س: ما الدليل على طلب الشفاعة: اللهم شفع في نبيك اللهم شفع في أصحابه؟

ج: هذا دعاء شرعي﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ [غافر: ٦٠] هذا من الدعاء الصالح، هذا دعاء شرعي.

۞ وحقيقتُه أن الله سبحانه هو الذي يتفضَّل على أهل الإخلاصِ، فيغفرُ لهم بواسطة دعاءِ مَن أذنَ له أن يشفعَ؛ ليكرمَه وينالَ المقامَ المحمودَ، فالشفاعةُ التي نفاها القرآنُ ما كان فيها شركٌ، ولهذا أثبتَ الشفاعةَ بإذنه في مواضعَ، وقد بيَّن النبيُّ ﷺ أنها لا تكون إلا لأهلِ التوحيدِ والإخلاصِ. انتهى كلامه[1].[٤]

[شرح ٤] فقول المؤلف رحمه الله: (وحقيقته أن الله...) هذا من بقية كلام شيخ الإسلام[2].

قوله: (قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون). هو أبو العباس ابن تيمية رحمه الله كما تقدم، وهذا الكلام نقله من «اقتضاء الصراط المستقيم» لتقي الدين ابن تيمية رحمه الله[3]. =

(١) ص٢٧٦.

(٢) انظر «تيسير العزيز الحميد» ص١٩٠ - ط. دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ.

(٣) انظر «مجموعة الفتاوى» لابن تيمية (٧/ ٧٧-٧٨).

....

= وقوله: (وحقيقته) أي: نول الشفاعة.

وقوله:(أن الله سبحانه هو الذي تفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم) يعني: بسبب إخلاصهم وتوحيدهم (بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع) بواسطة دعاء الشافعين الذين شفعوا له؛ كالنبي ﷺ، وكالملائكة، والأفراط، والمؤمنين.

(ليكرمه) أي: ليكرم هذا الشافع (وينال المقام المحمود) هذا في الشفاعة العظمى حين يشفع النبي ﷺ في أهل الموقف حتى يقضي الله بينهم كرامةً من الله له، وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله به، وكذلك يكرم الشافع في إخراج بعض الناس من النار ودخول الجنة، من مؤمن، أو ملك، فهذه كرامة من الله إذا قبلت شفاعتهم، وهكذا الأفراط من إكرام الله لهم أن يقبل شفاعتهم، لأنهم ماتوا على غير ذنب وليسوا متحملي ذنوب، فلهم شفاعة.

وقوله:(ما كان فيها شرك) «ما» هنا موصولة، فالشفاعة التي نفاها القرآن؛ فإن «ما» فيها نافية، وهي التي كان فيها شرك، فالشفاعة التي وجد فيها شرك وتعلق بها المشركون ـ هذه الشفاعة =

....

= منفية باطلة في قوله سبحانه ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨] لأنهم أشركوا بالله ـ جل وعلا ـ كذلك قوله: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨].

هذه هي الشفاعة التي فيها شرك، ولذلك قال ـ رحمه الله: (فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك) يعني: هي التي كان فيها شرك، بأن دعوا المخلوقين واستغاثوا بهم ونذروا لهم، فهذه الشفاعة باطلة لأنهم طلبوها من غير الله، فهي من عبادة غير الله ﷻ.

أما الشفاعة التي أثبتها في عدة مواضع فهي التي تتعلق بإذنه ورضاه ﷻ وهي مذكورة في قوله جل وعلا: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥] وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]؛ فهذه الشفاعة الثابتة تكون بأمرين:

الأمر الأول: إذن الله للشافع.

الأمر الثاني: رضاه عن المشفوع فيه. =

....

= فإذا وقع الشرطان حصلت الشفاعة بإذن الله لمن أذن فيه ﷻ.

وقد أخبر النبي ﷺ في مواضع كثيرة بهذه الشفاعة، وسأله أبو هريرة عن ذلك فقال: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «من قال:لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»[١]. وفي الحديث الصحيح الآخر: «هي نائلة من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»[٢]. فعلم بذلك أن الشفاعة لأهل التوحيد الذين لا يشركون بالله ﷻ.

وأهل التوحيد أقسام: منهم من يكون على غير معصية فمات في توبة صادقة وأعمال صالحة، فهذا من أهل الجنة من أول وهلة، ومن يشفع فيه لرفع الدرجات والمنازل، ومن أهل التوحيد من يموت على معاص فيستحق دخول النار، فيشفع فيه ألا يدخل النار، ومن يدخلها بمعاصيه، فيشفع فيه لإخراجه.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه يشفع عدة شفاعات ـ عليه الصلاة =

(١) أخرجه البخاري: العلم (٩٩).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (١٩٩).

....

= والسلام ـ كما في الحديث أربع شفاعات، كلما شفع حَدَّ اللهُ له حدّاً فيذهب فيخرجهم من النار بإذن الله ﷻ، ثم يشفع فيحد الله له حدّاً، ثم يشفع ثالثة فيحد الله له حداً، ثم يشفع رابعة فيحد الله له حدّاً، يخرجهم من النار بتوحيدهم وإسلامهم[1]، وإنما دخلوها بمعاصيهم، وقد حرم الله على النار أن تأكل آثار السجود من ابن آدم.

فالمقصود أن الله جل وعلا جعل علامات يعرف بها من يخرج من النار بالشفاعة، فإما أنْ يعرف الشافع ذلك، أو تعرفه الملائكة وتدله على ذلك، فهو يشفع في أناس معينين يخرجون من النار، ويشفع الآخرون في أناس معينين، كالملائكة والأنبياء والمؤمنين والأفراط، فالشفاعة أنواع، والشافعون أقسام وأصناف، وهي حق لا شك فيها، فهي ثابتة بالنصوص، لكن بالشرطين:

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع، سواء كان الشافع =

(١) انظر البخاري: تفسير القرآن (٤٤٧٦)، ومسلم: الإيمان (١٩٣).

....

= ملكاً أو نبيّاً أو مؤمناً من المؤمنين أو غير ذلك من الأفراط ونحو ذلك.

الشرط الثاني: رضاه عن المشفوع فيه؛ لأن الكافر لا تقع له شفاعة؛ لأن الله لا يرضى عمله كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧].

فالكافر لا شفاعة له، وما تنفعهم شفاعة الشافعين، وإنما تقع لأهل التوحيد الذين رضي الله توحيدهم ورضي إيمانهم وكانت عندهم سيئات ماتوا عليها فاستحقوا بها دخول النار، ثم أذن الله بالشفاعة لهم، وأخرجوا من أجل ما معهم من التوحيد الذي رضي الله به وأقره ودعا إليه ﷺ، والله جل وعلا أعلم*.

---

* **س: هل للشفاعة حد؟**

ج: الظاهر أنه ليس لها حد، يعني: خمسين، مئة، ألف، ألفين؛ والله أعلم.

باب

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦]

۞ وفي «الصحيح» عن ابن المُسيّب عن أَبيه قال: لـمّا حَضَرَت أبا طالبٍ الوفاةُ جاءَه رسولُ الله ﷺ وعندَه عبدُ الله بنُ أَبي أُميَّـةَ وأبو جَهلٍ، فقال له: «يا عَمِّ، قلْ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، كلمةً أُحَاجُّ لكَ بها عندَ الله». فقالا له: أترغَبُ عن مِلَّة عبدِ المطَّلِب؟ فأعادَ عليه النبيُّ ﷺ، فأعادَا.

فكان آخرَ ما قالَ: هو على مِلَّة عبدِ المطَّلِب وأَبَى أنْ يقولَ: «لا إلهَ إلَّا اللهُ»، فقال النبيُّ ﷺ: «لأَستَغفِرَنَّ لكَ ما لـمْ أُنْهَ عنكَ»، فأنزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية [التوبة: ١١٣]، وأَنزَلَ اللهُ في أَبي طالبٍ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن =

= ﴿يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[١].

فيه مسائلُ:

الأُولى: تفسيرُ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

الثانية: تفسيرُ قولِه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

الثالثة: وهي المسألةُ الكبيرةُ، وتفسيرُ قولِه: «قُلْ: لا إلهَ إلَّا اللهُ»؛ بخِلافِ ما عليه مَن يَدَّعي العِلْمَ.

الرابعة: أنَّ أبا جَهْلٍ ومَن معه يَعرِفونَ مُرادَ النبيِّ ﷺ إذ قالَ للرجُلِ: «قُلْ: لا إلهَ إلَّا اللهُ»، فقَبَّحَ اللهُ مَن أبو جَهلٍ أعلمُ منه بأَصلِ الإسلامِ. =

---

(١) أخرجه البخاري: التفسير القرآن (٤٧٧٢)، ومسلم: الإيمان (٢٤).

= الخامسة: جِدُّه ﷺ ومُبالَغتُه في إسلامِ عمِّه.

السادسة: الرَّدُّ على مَن زَعَمَ إسلامَ عبدِ المُطَّلِب وأسلافِه.

السابعة: كَونُه ﷺ استَغفَرَ له فلم يُغفَرْ له، بل نُهيَ عن ذلك.

الثامنة: مَضرَّةُ أصحابِ السُّوءِ على الإنسانِ.

التاسعة: مَضرَّةُ تعظيمِ الأسلافِ والأكابرِ.

العاشرة: الشُّبْهةُ لِلمُبطِلينَ في ذلك؛ لاستِدلالِ أَبي جَهلٍ بذلك.

الحادية عشرة: الشاهدُ لكَونِ الأعمالِ بالخواتيمِ، لأنه لو قالها لَنَفَعتْه.

الثانية عشرة: التأمُّل في كِبَر هذه الشُّبْهة في قُلوبِ الضالِّينَ؛ لأنَّ في القصَّة أنَّهم لم يُجادِلوهُ إلا بها، مع مُبالَغتِه ﷺ وتكريرِه؛ فلأَجْلِ عَظَمَتها ووُضوحِها عندهم اقتَصَرُوا =

= عليها[1].[٥]

[شرح ٥] يقول المؤلف رحمه الله تعالى: (باب قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾).

أراد المؤلف بهذه الترجمة بيانَ أن النبي ﷺ لا يملك هدايةَ أَحدٍ من الناس، وبهذا يُعلَم أنه لا يَصلُح أن يُعبَد من دون الله، فإذا كان ﷺ لا يملك هدايةَ عمِّه ولا غير عمِّه، فيُعلَم أنه ليس في قدرته التصرف في العباد وإدخال الهدى في قلوبهم.

وإذا كان بهذه الـمَثَابة لم يصلح أن يُعبَد مَنْ دون الله، فالعبادة إنما تكون للذي يستطيع أن يَهديَ الناس وأن ينفعهم ويضرَّهم، وهو الله وحده ﷻ، المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، فهو الذي يستحق أن يُعبَدَ دون سواه.

أما الرسل فقدرتهم محدودة حَسَبَ ما أقدَرَهم الله عليه، فليس في قُدْرة الرسل أن يهدوا الناس الهدايةَ التي معناها قبول الحق وإيثاره، فهي غير هداية البلاغ والبيان، فتلك هي هداية الرسل =

---

(١) ص٢٧٧-٢٧٩.

....

= وأتباعهم، لكن المقصود هنا هداية التوفيق وقذف النور في القلب، والرضا بالحق وقبوله وإيثاره، فهذه ليست بيد النبي ﷺ ولا بيد غيره من المخلوقات.

فإذا علمنا أنه ﷺ لا يستطيع أن يهدي من أحبَّ، وأن الهدى بيد الله ـ جل وعلا ـ عُلم أن الله هو المستحق للعبادة، وأن الرسول محمداً ﷺ ـ وهو أفضل الناس ـ لا يستحق أن يعبد من دون الله ـ جل وعلا ـ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ سبحانه وتعالى.

وقوله: (في الصحيح) أي: صحيح البخاري (عن سعيد بن المسيب) ابن حَزْن بن أبي وَهْب المخزومي، تابعي جليل من فقهاء التابعين، (عن أبيه) وهو المسيب بن حزن المخزومي، وأبوه صحابي جليل.

قال: (لما حضرت أبا طالب الوفاةُ جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أُمية المخزومي وأبو جهل) وهو أبو الحكم =

....

= عمرو بن هشام المخزومي، وأبو جهل هذا من أكثر عباد الله كُفراً وأضلِّهم عن سواء السبيل، وكان عبد الله بن أبي أُمية أيضاً كافراً في ذلك الوقت ثم أسلمَ وهداه الله، أما أبو جهل فقُتِل على كفره يوم بدر.

فقال النبي ﷺ لعمِّه وهو في حال شدة المرض: «يا عَمِّ، قل: لا إله إلا الله، كلمة أُحاجُّ لك بها عند الله» فقال له أبو جهل وصاحبه عبد الله بن أبي أُمية: «أترغَبُ عن مِلَّة عبد المطلب يا أبا طالب»؛ لأنه يعرف أن ملة عبد المطلب ضد «لا إله إلا الله»، فهي عبادة الأحجار والأشجار والأصنام.

فأعاد عليه النبيُّ ﷺ لـمّا قالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب فقال: «يا عم، قل: لا إله إلا الله» فأعادا عليه هما أيضاً ـ أبو جهل وعبد الله بن أمية ـ وقالا: أترغب عن ملة عبد المطلب؛ يذكِّرانه الحجةَ الملعونة ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣]، أي: يذكرانه أنه لا ينبغي لك أن ترغب عن ملَّة آبائك وتتركها وترجع إلى دين ابن أخيك، فأجابهما قائلاً: =

....

= «هو على ملَّة عبد المطلب»، أي: قال لهما: أنا على ملة عبد المطلب، لكن الراوي لم يستحسن أن يقول: «أنا»، فهكذا يقول: «هو» وهذا من باب التأدب في الألفاظ واختيار الألفاظ المناسبة، إذا كانت لا تغيِّر المعنى، فقال: «هو على ملة عبد المطلب» وامتنع أن يقول: «لا إله إلا الله»، أي: مات على الكفر بالله.

فأبو طالب كان ناصَرَ النبيَّ ﷺ وأحاطه وحماه، وفعل أفعالاً طيبة مع النبي ﷺ، ولكن الله لم يقدِّر له الهداية، وفي هذا عبرة وآية ودلالة على قدرة الله تبارك وتعالى وحكمته ـ جل وعلا ـ وأنه هو الحكيم العليم، ومن حكمة الله أن يعلمَ الناسُ أن محمداً ﷺ بشر ليس في استطاعته أن يهدي أحداً من الناس حتى عمَّه، وبهذا يعلم أن العبادة حق لله، وأن محمداً بشر لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا حياة ولا نشوراً، عليه الصلاة والسلام.

ولهذا يقال: إذا جاء البحث المناسب في هذا المقام، في ضلال الناس وعدم هدايتهم، أنَّ النبيَّ ﷺ لم يَستطعْ أنْ يهدِ عمَّه، لأن هذا الأمرَ بيد الله ـ جلَّ وعلا ـ وليس بيد الناس. =

....

= فقال له النبي ﷺ: «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنهَ عنك»، وما ذاك إلا لأن أبا طالب قد نصر النبيَّ ﷺ وحماه، فأراد ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يكافئه ببعض المكافأة لعله ينفعه، بعدما كان حريصاً على هدايته، ولكن لم يُقدِّر الله له الهداية، فأنزل الله في ذلك قوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣] فمن مات على الكفر فهو من أصحاب الجحيم، فتركَ النبيُّ ﷺ الاستغفار له.

وهكذا إبراهيمُ استغفر لأبيه ودعا له بالمغفرة: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ﴾ [التوبة:١١٤]، فمن مات على الكفر بالله لا يُستغفَر له ولا يُدعى له؛ لأنه انتهى إلى النار فلم يعد هناك حيلة.

وأُنزل في أبي طالب تسليةً وتعزيةً للنبي ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦] وليس من أحببت هدايته، فبيَّن ﷻ أن النبي لا يملك هداية من أحب هدايته، ثم قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ سبحانه وتعالى، والمعنى: لا =

....

= تجزع فالأمرُ بيدنا لا بيدك، فارضَ بما قسم الله ـ جل وعلا ـ فإنه هو الذي يهدي من يشاء وهو أعلم بمن يَصلُح للهداية ومن لا يَصلُح لها.

فقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه رآه في النار وفي غَمَرات النار، وأن الله أدخله النارَ بسبب كفره بالله وامتناعه من عبادة الله وحده ﷻ، قال: ﷺ «لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضَحْضاح من النار يبلغ كعبيه، يَغْلي منه دماغُه»[1]. كان في الدَّركات ولكن شفع فيه النبيُّ ﷺ بالتخفيف، وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ، لا يُشفَع لمشرك إلا هذه الشفاعة، فإن الرسول ﷺ شفع في أبي طالب أن يخفِّفَ الله عنه، فخفَّف عنه وصار في ضَحْضاح من النار مخلَّداً فيها مع الكفار.

أما ما يروى أنه أسلم خُفْية، وأنه أسرَّ بكلمة التوحيد للعباس، فهذه الكلمة لا أصل ولا صحة لها عن النبي ﷺ، وهو =

(١) أخرجه البخاري: المناقب (٣٨٨٥)، ومسلم: الإيمان (٢١٠).

....

= حديث موضوع باطل، وإنما الثابت أنه لم يُسلِم ولم يقل هذه الكلمة، بل مات على دين قومه.

وفي هذا دلالة ظاهرة على أن الهداية بيد الله ﷻ وأن النبي ﷺ لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا لغيره، وأنه ﷺ عبدٌ مأمور لا يَحسُن أن يُعبَد من دون الله، وأن العبادة حقُّ الله وحده دون غيره ﷻ.

وفيه دلالة أيضاً على أنه لا يُستغفَر للمشركين ولا يُدعَى لهم بالمغفرة ولا بالرحمة ولا بالجنة، وأن الهداية بيد الله وحدَه لا بيد غيره، وهذه هدايةُ التوفيق والإلهام للحق وإدخال النور في القلب.

أما هدايةُ البلاغ والبيان، فهي هداية الرسل وأتباعهم، أي: تُرشِد وتدعو إلى صراط مستقيم وإلى دين الله ـ جل وعلا ـ فالهداية هدايتان:

هداية توفيق والتزام بالحق وبالأدلة: وهذه بيد الله، جل وعلا.

وهداية بلاغ وبيان: وهذه بيد الرسل وأتباعهم إلى يوم القيامة، والله أعلم.

باب

ما جاء من التغليظ فيمن عَبَدَ الله عند قبر رجلٍ صالحٍ فكيف إذا عبده؟

۞ في «الصحيح» عن عائشةَ: أنَّ أمَّ سَلَمةَ ذَكَرتْ لرسولِ الله ﷺ كنيسةً رأَتْها بأرضِ الحَبَشة وما فيها من الصُّوَر، فقال:

«أُولئِكَ إذا ماتَ فيهمُ الرجلُ الصالحُ أو العبدُ الصالحُ، بَنَوْا على قَبْره مَسجداً وصَوَّروا فيه تلكَ الصُّوَرَ، أُولئكَ شِرارُ الخَلْق عندَ الله»[1]. فهؤلاءِ جَمَعُوا بينَ الفِتنتَينِ: فتنةِ القُبورِ، وفتنةِ التماثيلِ.

ولهما عنها قالتْ: لـَمَّا نَزَلَ برسولِ الله ﷺ طَفِقَ يَطرَحُ خَميصةً له على وَجهِه، فإذا اغتمَّ بها كَشَفَها، فقال وهو =

(١) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٣٤)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٨).

= كذلكَ: «لعنةُ الله على اليهودِ والنصارَى، اتَّخَذوا قبورَ أَنبيائِهم مساجدَ» يُحذِّرُ ما صَنَعُوا، ولولا ذلكَ أُبرِزَ قبرُه، غيرَ أنه خَشِيَ أن يُتخَذَ مسجداً. أخرجاه[1].

ولمسلمٍ[2] عن جُنْدُبِ بن عبدِ الله، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ قبلَ أَنْ يموتَ بخمسٍ وهو يقولُ: «إنِّي أَبرَأُ إلى الله أَنْ يكونَ لي منكم خَليلٌ، فإنَّ الله قد اتَّخَذني خَليلاً كما اتَّخَذَ إبراهيمَ خَليلاً، ولو كنتُ مُتَّخِذًا مِن أُمتي خَليلاً؛ لاتَّخذْتُ أَبا بكرٍ خَليلاً، أَلا وإنَّ مَن كانَ قَبلَكُم كانوا يَتَّخذُون قبورَ أَنبيائِهم مساجدَ، أَلا فلا تَتَّخِذُوا القبورَ مساجدَ؛ فإنِّي أَنهاكُم عن ذلكَ».

فقد نَهَى عنه في آخرِ حياتِه، ثمَّ إنَّه لَعَنَ ـ وهو في السِّياقِ ـ مَن فَعَلَه.

والصلاةُ عندها مِن ذلكَ، وإنْ لم يُبْنَ مسجدٌ، وهو =

(١) أخرجه البخاري: المغازي (٤٤٤٤)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٣١).

(٢) برقم (٥٣٢).

= معنى قولها: «خُشِيَ أَنْ يُتَّخذَ مسجدًا»؛ فإِنَّ الصحابةَ لم يكونوا ليَبْنُوا حولَ قَبرِه مسجداً، وكلُّ موضعٍ قُصِدَت الصلاةُ فيه فقد اتُّخِذَ مسجداً، بل كلُّ موضعٍ يُصَلَّى فيه يُسمَّى مسجدًا؛ كما قال ﷺ: «جُعِلتْ لِيَ الأرضُ مسجدًا وطَهُورًا»[١].

ولأحمدَ[٢] بسندٍ جَيِّدٍ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه مَرفُوعًا: «إنَّ مِن شِرَارِ الناسِ مَن تُدرِكُهم الساعةُ وهم أَحياءٌ، والذينَ يَتَّخِذونَ القبورَ مساجدَ».

ورواه أبو حاتمٍ في «صحيحه»[٣].

فيه مسائلُ:

الأولى: ما ذَكَرَ الرسولُ فيمن بَنَى مسجدًا يُعبَدُ اللهُ فيه =

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) في «المسند» (٣٨٤٥) و(٤١٤٣).

(٣) أبو حاتم: هو ابن حبان، والحديث في «صحيحه» برقم (٢٣٢٥) و(٦٨٤٧).

= عند قبرِ رجلٍ صالح، ولو صَحَّت نيَّـةُ الفاعل.

الثانية: النهيُ عن التماثيلِ وغِلَظُ الأَمر في ذلك.

الثالثة: العِبْرةُ في مبالَغتِه ﷺ في ذلك؛ كيف بيَّن لهم هذا أوَّلاً، ثم قبلَ موتِه بخمسٍ قال ما قالَ، ثم لـمّا كان في السِّياقِ لم يَكْتفِ بما تقدَّم.

الرابعة: نَـهْيُه عن فِعْلِه عند قبرِه قبلَ أنْ يُوجَدَ القبـرُ.

الخامسة: أنَّه مِن سُنَنِ اليهودِ والنَّصارى في قُبورِ أنبيائِهم.

السادسة: لَعْنُه إيَّاهم على ذلك.

السابعة: أنَّ مُرادَه تَحذِيرُه إيَّانا عن قَبرِه.

الثامنة: العِلَّة في عدمِ إبرازِ قَبرِه.

التاسعة: في معنى اتِّخاذِها مسجداً.

العاشرة: أنَّه قَرَنَ بينَ مَن اتَّخَذَها مسجداً وبينَ مَن تَقُومُ عليهم الساعةُ، فذَكَرَ الذَّريعةَ إلى الشِّرْك قبلَ وُقُوعِه =

= مع خاتمتِه.

الحادية عشرة: ذِكْرُه في خُطْبتِه قبلَ موتِه بخمسٍ الرَّدَّ على الطائفَتينِ اللَّتَينِ هما أشرُّ أهلِ البِدَع، بل أَخرَجَهم بعضُ أهلِ العِلْمِ مِن الثِّنتَينِ والسبعينَ فِرْقةً، وهم الرافضةُ والجَهْميَّة، وبسَبَبِ الرافضةِ حَدَثَ الشِّركُ وعِبادةُ القُبورِ، وهم أوَّلُ مَن بَنَى عليها المساجدَ.

الثانية عشرة: ما بُلِيَ به ﷺ مِن شِدَّة النَّزْع.

الثالثة عشرة: ما أُكرِمَ به مِن الخُلَّة.

الرابعة عشرة: التصريحُ بأنَّها أعلى مِن المحَبَّة.

الخامسة عشرة: التصريحُ بأنَّ الصِّدِّيقَ أفضلُ الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارةُ إلى خِلافَتِه[1]. [٦]

[شرح ٦] يقول المؤلف رحمه الله: (باب ما جاء من التغليظ فيمن عبدَ اللهَ عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟) أي: عبدَ القبرَ، أو =

---

(١) ص٢٨٢-٢٨٤.

....

= الرجلَ الصالح.

وهو يريد بهذا أن الأدلة جاءت في التحذير من التعبُّد عند القبور والتشديد في ذلك، فإذا كان هذا التحذير والتشديد جاءا فيمن تعبَّد عند القبور؛ لأن ذلك وسيلة للشرك، فكيف الحال بمن عَبَدَ صاحبَ القبر؟!

يعني: أن الأمر سيكون أعظمَ، وسيكون التغليظ أشدَّ، وستكون العقوبة أكبر؛ لأنها نفس الغاية التي من أجلها نُهِيَ عن التعبد عند القبور؛ لأنها وسيلة إلى هذه الغاية، التي هي الشرك بالله وعبادة الأولياء، وعبادة المقبورين سواء كانوا أنبياءَ أو أولياءَ أو غيرَ ذلك، ولهذا قال: (باب ما جاء من التغليظ فيمن عَبَدَ الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟).

قوله في الحديث الأول: (وفي الصحيح)، بل هو في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها: أن أم سلمة وأم حَبِيبة ذكرتا لرسول الله كنيسةً رأتاها بأرض الحبشة، فأُمُّ حبيبة وأم سلمة كانتا من المهاجرات إلى بلاد الحبشة، فعندما هاجر المسلمون من =

....

= مكة إلى الحبشة، وكانت أمُّ سلمة مع زوجها أبي سلمة، وأمُّ حبيبة كذلك مع زوجها، هاجرتا معهما إلى الحبشة، فرأتا كنيسة عند النصارى وما فيها من الصور، فذكرتا للنبي ﷺ من حُسْن هذه الكنيسة ـ ويقال لها: مارية ـ وما بها من الصور، فقال النبيُّ ﷺ عند ذلك: «أُولئكَ إذا مات فيهم الرجلُ الصالح، أو العبد الصالح» شكٌّ من الراوي.

فالنبي ﷺ قال: «الرجل» أو «العبد»، والمعنى واحد، لكن هذا من تحرِّي الرواة وحرصهم على أن يؤدوا الألفاظ كما سمعوا.

وقوله: «أولئك شرار الخلق عند الله»، يعني: أولئك الذين عملوا هذا العمل ـ وهو البناء على القبور واتخاذ التصاوير عليها ـ هم شرار الخلق عند الله، وما ذاك إلا لأنهم فعلوا أشياءَ تجرُّ إلى الشرك وتوقع فيه كما وقعت النصارى واليهود، وهكذا ضُلّال هذه الأمة، تأسَّوا باليهود والنصارى في ذلك، وفعلوا مثل فعلهم عند القبور وسمَّوهم بالأولياء كما هو موجود الآن في مصر والشام والعراق وفي بلاد كثيرة، وكما كان موجوداً في المدينة وفي مكة قبل =

....

= تولِّي الحكومة السعودية سابقاً، وهذه الدولة الحاضرة.

والمقصود أن هذا الشيء مُستغرَب بين الناس، وكان أولَ من فعله الرافضةُ في عهد بني عُبيد القَدَّاح وفي أماكن أُخرى، فهم أولُ من سبق إلى البناء على القبور؛ قبور أهل البيت، ثم تابعهم منتسبون إلى السُّنة وفعلوا مثل فعلهم جهلاً وضلالاً.

والحاصل أن هذه البنايات على القبور من مساجد أو قِبابٍ، من أسباب الشرك بها؛ لأن الجهلة إذا رأَوا هذا القبر معظَّماً بالقُبَّة والبناء والفِراش، ورأَوا فيه الأطياب والسَّدَنة قالوا مثل ما يقول هؤلاء السَّدَنة: هذا ينفع، وهذا يشفع، هذا يعطي وهذا يمنع، فإذا فَقَدت إحداهن الولدَ جاءت إليه، وإذا اختلَّت بضاعةُ أو زراعةُ أحدهم جاء إليه، وإذا وقع في شيء يأتي إليه يطلب المَدَد والغَوْث.

فوقع الشِّرك في هذه الأُمة بسبب تشبهها باليهود والنصارى، في البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها. =

....

= وهذا حذَّر النبي ﷺ من هذا تحذيراً شديداً، حتى قال: «أولئك شرار الخلق عند الله»، لأنه تعاطى أمراً يوقع في الشرك ويجر إليه، مع ما يصاحب ذلك من تأسٍّ باليهود والنصارى وتشبُّهٍ بهم، فوجب الحذر من ذلك لما فيه من الإفضاء إلى أكبر ذنبٍ وأعظمه، وهو الشرك بالله ﷻ.

وفيه أيضاً التَّحذير من التصاوير وأنها لا تُوضَع على القبور، فلا يُبنَى عليها ولا يوضع عليها تصاوير أيضاً، وأنَّ فعل ذلك من التشبه بالنصارى كما فعلوا في الحبشة وغيرها.

وجنسُ الصور قد جاء فيها الوعيد الشديد، فقد قال ﷺ: «أشدُّ الناس عذاباً يومَ القيامة المصوِّرون»[1]، وقال: «يُعذَّبون يومَ القيامة، يقال لهم: أَحْيُوا ما خَلقتُم»[2]، وقال: «مَن صوَّر صورةً فإنَّ الله معذِّبُه حتى ينفخَ فيها الروحَ، وليس بنافخٍ فيها أبداً»[3]، إلى غير =

(١) أخرجه البخاري: اللباس (٥٩٥٠)، ومسلم: اللباس والزينة (٢١٠٩).

(٢) أخرجه البخاري: اللباس (٥٩٥١)، ومسلم: اللباس والزينة (٢١٠٨).

(٣) أخرجه البخاري: البيوع (٢٢٢٥)، واللباس (٥٩٦٣)، ومسلم: اللباس (٢١١٠).

....

= ذلك، فالتصوير في نفسه محرَّم، ثم إن وضعَه على القبور ـ كوضع صور الميت على القبر سواء كان نبياً أو صالحاً ـ من أسباب الفتنة، وأمرُه أشدُّ.

فلا يجوز التصويرُ ولا وضعُ الصور في القبور، ولا نصبها على القبر ولا في الحُجْرة التي فيها قبر، كل ذلك منكر وهو من فعل النصارى والتشبه بهم ومن وسائل الشرك.

وقول عائشة رضي الله عنها: «لما نزل برسول الله ﷺ طَفِقَ يطرح»، (طفق) من أفعال الشروع؛ يعني: جعل وشَرَع يفعل.

وقولها: «يطرح خميصةً له» الخميصة: كِساءٌ له أعلام «على وجهه» يغطِّي بها وجهه عليه الصلاة والسلام، من شدة النَّزْع، وهو في غمرات الموت. «فإذا اغتمَّ بها» يعني: إذا شقَّ عليه ذلك وأصابه الغمُّ منها واحتبس عن الخروج «كشفها» أخَّرها عن وجهه، ثم قال عند ذلك: «لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ». =

....

= ثم قالت عائشة: «يحذِّر ما صنعوا» يعني: يحذِّرنا بهذا ما صنع أولئك من التعلق بالأموات والبناءِ على قبورهم، واتخاذِ المساجد عليها، قالت: «ولولا ذلك» يعني: لولا تحذيره ﷺ «لأُبرز قبره» يعني: لأُبرِز قبرُه في البقيع مع الناس «غير أنه خُشي أن يُتخَذ مسجداً» يعني: خشي الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم من ذلك، فلهذا دفنوه ﷺ في بيته، خوفاً من الغلوِّ فيه واتخاذ قبره مسجداً ومصلّى ووَثَناً، وقد روي عنه ﷺ قال: «اللهمَّ لا تجعلْ قبري وثناً يُعبَد، اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتخذوا قبورَ أنبيائهمْ مساجدَ»(١).

فهذا يدلُّ على وجوب الحذر من اتخاذ المساجد على القبور وأنه من وسائل الشرك، وأن الصحابة دفنوا النبي ﷺ في البيت حتى تكون الجُدُر المحيطة به مانعةً من وصول الناس إليه عليه الصلاة والسلام، وذلك خوفاً من أن يُعبَد قبرُه من دون الله وأن يتخذ مسجداً. =

(١) أخرجه مالك: النداء للصلاة (٤١٦).

....

= وقوله: (هؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنةِ القبور، وفتنةِ التماثيل)، هذا من كلام المؤلف الشيخ ابن عبد الوهاب استنبطه من الحديث، وأصله من كلام شيخ الإسلام ابن تيميَّة في «اقتضاء الصراط المستقيم»[١]، يعني: أن النصارى جمعوا بين الفِتنتين: فتنةِ القبور والغلوِّ فيها، وفتنةِ التماثيل وهي الصور.

وقد فُتِنَ الناس بهذين الأمرين، فُتنوا بالقبور وفُتنوا بالصور، وأصل ذلك من فعل النصارى، فتابعهم الناسُ؛ لأن هذه الأُمة تتبع من كان قبلها في أحوالهم الجاهلية وسننهم الباطلة، كما أخبر به النبي ﷺ، إلا من عَصَم الله، وإلا فأغلبُ الخلق يتبع من كان قبله مثلما قال النبي ﷺ: «لَتتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قَبلَكم شِبراً بشِبر، وذراعاً بذراعٍ، حتى لو دَخَلوا جُحرَ ضَبٍّ تَبِعتُموهم» قالوا: يا رسولَ الله، اليهودَ والنصارى؟ «قال: فمَن؟». متفق عليه[٢].

هذه عادة الناس، وهي سُنة الله في عباده، أنَّ الآخرين يتبعون =

---

(١) انظر: ص٣٣٣.

(٢) أخرجه البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٢٠)، ومسلم: العلم (٢٦٦٩).

....

= الأولين في شرهم وخيرهم، والغالب اتباعهم في الشر والبدع والمحدَثات ظنّاً منهم أن هذا المحدَث فيه فائدة وأنه صالح، وهذا من جهلهم وضلالهم، ولو علموا وتبصَّروا وتفقَّهوا في الدين لعلموا أنَّ ما أَحدَثوه هو المنكر، وأن الواجب هو البقاءُ على ما كان عليه السلف الصالح، من عدم البناء على القبور وعدم جعل الصور عليها، وعدم اتخاذ المساجد عليها، هذا هو الحق، وهذا هو الصواب الذي دَرَجَ عليه الرسول ﷺ ودَرَج عليه أصحابُه وأتباعُه بإحسان.

وأما ما فعله الناس بعد ذلك من البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها والصور والقِباب، فهذا من المنكرات ومن وسائل الشِّرك، ويجب على مَن قَدَر أن يهدمها كما هدمها الأخيارُ من سلف هذه الأُمة، وكما هدمها أتباعُهم بإحسان كما فعل حكام آل سعود لما تولَّوا الأمر بتوجيه الشيخ محمد رحمه الله والعلماء، فهدموا ما كان في المدينة ومكة.

وكان في عهد الشافعي رحمه الله قد وُجِدَ شيءٌ من ذلك فقال =

....

= ما معناه: رأيتها تُهدَم؛ فهذا شرٌّ قديم في هذه الأمة، فإذا تولَّى الصُّلَحاء والأخيار هَدَموا هذه البدع، وإذا ذهبوا وجاء بعدهم الأشرار بَنَوها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله المستعان*.

*** س: هل ورد في الحديث أن النبي ﷺ يدفن في المكان الذي مات فيه؟**

ج: ورد ذلك في حديث[1]، لكن في هذه الحالة المشهور أنها من اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، فالحديث فيه ضعف.

س: السيدة عائشة علَّلت بتعليل آخر!

ج: الحديث يغلب على ظنِّي أنه ضعيف، ولهذا لم تتعرض عائشة له، وإنما ذكرتْ أنهم دفنوه في بيته، خوفاً من أن يفتن الناس ببروز قبره ﷺ بينهم، ولو كان عندها نص لذكرته، والله المستعان.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: الجنائز (١٦٢٨).

باب

ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

۞ روى مالكٌ في «الموطأ»: أن رسولَ الله ﷺ قال: «اللهمَّ لا تجعلْ قَبْري وَثَناً يُعبَد، اشتَدَّ غضبُ الله على قومٍ اتَّخَذوا قبورَ أنبيائِهم مَساجِدَ»[1].

ولابن جَريرٍ بسنده عن سفيانَ، عن منصورٍ، عن مجاهدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم:١٩] قال: كان يَلُتُّ لهم السَّوِيقَ، فماتَ فعَكَفُوا على قَبرِه. وكذا قالَ أبو الجَوْزاءِ عن ابنِ عباسٍ: كان يَلُتُّ السَّوِيقَ للحاجِّ[2].

وعن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما قال: لَعَنَ رسولُ الله =

(١) أخرجه مالك: النداء للصلاة (٤١٦).

(٢) أخرجه البخاري: التفسير (٤٨٥٩).

= ﷺ زائراتِ القُبورِ، والمُتَّخِذينَ عليها المساجدَ والسُّرُجَ. رواهُ أَهلُ السُّننِ(١).

فيه مسائلُ:

الأولى: تفسيرُ الأَوثانِ.

الثانية: تفسيرُ العِبادَةِ.

الثالثة: أنَّه ﷺ لم يَستَعِذْ إلَّا ممَّا يَخافُ وُقُوعَه.

الرابعة: قَرْنُه بهذا اتِّخاذَ قبورِ الأنبياءِ مساجدَ.

الخامسة: ذِكْرُ شِدَّة الغَضَب من الله.

السادسة: وهي مِن أهمِّها: صِفَةُ معرفةِ عِبادَةِ اللَّاتِ التي هي مِن أكبرِ الأوثانِ.

السابعة: معرفةُ أنَّه قبرُ رجلٍ صالحٍ.

الثامنة: أنَّه اسمُ صاحبِ القبرِ، وذِكرُ معنى التَّسميةِ. =

---

(١) أبو داود: الجنائز (٣٢٣٦)، والترمذي: الصلاة (٣٢٠)، وابن ماجه: الجنائز (١٥٧٥)، والنسائي: الجنائز (٢٠٤٣).

= التاسعة: لَعْنُه زَوَّاراتِ القُبورِ.

العاشرة: لَعْنُه مَن أسرَجَها[1].[٧]

[شرح ٧] قال المؤلف رحمه الله: (باب ما جاء أن الغلوَّ في قبور الصالحين يصيِّرها أوثاناً تُعبَد من دون الله) هذا الذي قاله المؤلفُ هو الواقع، فالغلوُّ فيها هو الزيادة في حب الصالحين حتى تُوجَد البدع، فالغلو في قبور الصالحين بغير الزيارة الشرعية يُفضي إلى اتخاذها أوثاناً تعبد من دون الله، فالبناءُ عليها أو العُكوف عليها للدعاء والقراءة عندها ونحو ذلك، أو اتخاذ المساجد عليها، أو ما أشبه ذلك، كلُّه من وجوه الغلوِّ.

وقد جاءَ في حديث ابن عبَّاس الآتي أن النبي ﷺ قال: «إيَّاكم والغلوَّ في الدِّينِ، فإنَّما أَهلَكَ مَن كان قَبلَكم الغلوُّ في الدِّين»[2].

فالغلوُّ في الدين هو الزيادة عما شَرَع اللهُ، ومن وجوه هذا الغلوِّ البناءُ على القبور، أو اتخاذها مساجد، ودعاء أصحابها =

---

(١) ص٢٨٤-٢٨٥.

(٢) أخرجه النسائي: مناسك الحج (٣٠٥٧)، وابن ماجه: المناسك (٣٠٢٩).

....

= والاستغاثة بهم، أو ما أشبه ذلك، هذا كله من أبواب الغلوِّ، والغلوُّ قد يكون بدعةً كالبناء على القبور، وقد يكون شركاً كالاستغاثة بالموتى والنَّذرِ لهم ونحو ذلك، فالغلوُّ في قبورهم يصيِّرها أوثاناً تُعبَد من دون الله كما هو واقع في غالب الأمصار.

وقوله: (رواه مالك في «الموطأ»)، مالك: هو ابنُ أنس الأَصبَحي، إمامُ دار الهجرة المعروف، أحد الأئمة الأربعة، وهو المعروف بعلمه وفضله وجلالته وتقدُّمه في الإسلام، وكانت وفاته سنة تسع وسبعين ومئة رحمه الله، أي: من المئة الثانية.

وقوله: (عن النبي ﷺ أنه قال: اللهمَّ لا تجعلْ قبري وثناً يُعبَد، اشتدَّ غضبُ الله على قوم اتَّخذُوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ)، هذا الحديث رُوِيَ من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار مرسلاً، وروي عن أبي سعيد متصلاً[١]، وشواهده في المعنى كثيرة[٢]، وقد =

(١) أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٤٤٠).

(٢) انظر حديث أبي هريرة عند أحمد (٢/ ٢٤٦).

....

= سبق ذكرُ الأحاديث الصحيحة الدالَّة على تحريم الغلوِّ في القبور واتخاذها مساجد، وأن الرسول ﷺ لعن من فعل ذلك من اليهود والنصارى، فعُلِم بذلك أن اتخاذ المساجد على القبور والغلوَّ فيها من أعمال اليهود والنصارى، فوجب الحذرُ من ذلك.

وفي هذا دعاؤه ﷺ بقوله: «اللهمَّ لا تجعل قبري وثناً يُعبَد»، فأجاب الله دعوته فصان قبرَه عن مباشرته بالعبادة من عهد الصحابة إلى يومنا هذا، فالصحابة دفنوه في بيته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثم لم يزل في بيته حتى أُقيم عليه الحواجز الأخرى، فالله ـ جل وعلا ـ أجاب هذه الدعوة وحَمى قبرَ نبيه ﷺ من أن يُباشَر بالعبادة.

أما كونُ الجهَّال أشركوا به، فهذا واقع منهم سواء قربَ قبره أو في البلدان البعيدة عن قبره، عليه الصلاة والسلام، فقد غَلَا فيه جمٌّ غفير من الناس، وعَبَدوه من دون الله في البلاد البعيدة والقريبة، إلا مَن وَفَّقه الله وبصَّره في الدين، ولكن الذي طلبه النبي ﷺ ودعا الله أن يقيَه إياه ـ وهو أن يُباشَر قبرُه بالعبادة ـ لم =

....

= يقع، فصانه الله وحماه بما وقع على يد الصحابة من دفنه في بيته وحمايته من الناس، عليه الصلاة والسلام.

وقوله: «اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» هذا تحذيرٌ للأمة أن يَغْلوا في قبره كما فعل مَن قبلهم، وأن يتخذوه وَثَناً يُعبَد من دون الله، وإنما المشروع اتِّباعه ﷺ وطاعته والسير على منهاجه، أما الغلو في القبرِ بالدعاءِ من دون الله أو الاستغاثةِ به أو ما أشبه ذلك، فهذا الذي حذَّره أُمتَه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبيَّن لها أن اليهود والنصارى فعلوا ذلك فاستحقوا اللعنة.

وهكذا ما ذكره ابن عباس ومجاهد في اللَّات، فإنه يدل على أن الغلوَّ يُفضي إلى الشِّرك، فإن أهل الطائف غَلَوا في اللات، وكان رجلاً صالحاً يَلُتُّ السَّوِيق للحاجِّ ويطعمهم، فلما مات غَلَوْا فيه وعبدوه من دون الله وبَنَوْا على قبره، وقيل: إنهم غَلَوا في الصخرة التي كان يلتُّ عليها بأن جعلوها على قبره، وبنوا عليه البنايةَ المشهورة وصار معبوداً لأهل الطائف ومن كان على طريقهم، ومن =

....

= كان تابعاً لهم. فهذا من باب الغلوِّ في الصالحين.

فالمقصود أن اللّات كان من أصنام وأوثان الجاهلية المشهورة، فهدمه النبي ﷺ بعدما فتح الله عليه الطائف وأزال هذه الوثنية، كما هدم العُزَّى وكسر مَنَاة، وأزال الله هذه الأصنام وغيرها في حياته ﷺ، وهكذا فُعل في كل ما عَثَر عليه الصحابة من الأوثان والقبور بعد وفاته ﷺ.

فهذا هو الواجب على وُلاة الأمور أن يزيلوا هذا الشرك، وأن يقضوا على ما يعبده أهلُ الجاهلية من دون الله بالطرق الممكنة التي يستطيعونها في ولايتهم.

ومن شأن الشيطان إغراءُ الناس بالصالحين، وزعمه أنهم يشفعون لمن بنى على قبورهم أو اتخذ عليها مساجدَ أو دعاهم من دون الله، هكذا كان الشيطان يفعل بالناس حتى وقع ما وقع.

ومن أشدِّ من فعل ذلك وأكثرِهم غلوّاً في الصالحين وأهلِ البيت الرافضةُ، ثم سلك مسلكهم جمٌّ غفير من غير الرافضة مع =

....

= غير أهل البيت ممن ينتسب إلى السُّنة، حتى وقع الشركُ في العالم وفي بلدان كثيرة، وعُبدت القبور وبُني عليها واتُّخذ عليها القِبابُ والمساجد، كل هذا مشابهةً لليهود والنصارى، فوَجَبَ على أهل الإسلام أن يحذروا ذلك وأن يُحذِّروه الناس، ووجب على وُلاة الأمور أن يُزِيلوه من الوجود متى قَدَرُوا.

وفَّق الله الجميع، وصلِّ اللهم وسلِّم على سيدنا محمد.

باب

ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جنابَ التوحيد وسدِّه كل طريقٍ يوصل إلى الشرك

۞ وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ الآية [التوبة:١٢٨].

عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَجعَلُوا بُيوتَكم قُبوراً، ولا تَجعَلُوا قَبْري عِيداً، وصَلُّوا عليَّ، فإنَّ صَلاتَكم تَبلُغني حيثُ كنتُم»[1]. رواه أبو داودَ بإسنادٍ حسنٍ، ورواتُه ثقاتٌ.

وعن عليِّ بن الحُسين: أنه رأَى رجلاً يجيءُ إلى فُرْجةٍ كانت عند قبرِ النبيِّ ﷺ، فيدخلُ فيها فيَدْعو، فنهاه، وقال: =

(١) أخرجه أبو داود: المناسك (٢٠٤٢).

= ألَا أحدِّثكم حديثاً سمعتُه من أَبي، عن جدِّي، عن رسول الله ﷺ قال: «لا تَـتَّخِذوا قَبْري عِيداً، ولا بُيوتَكم قُبـوراً، فـإنَّ تَسْـليمَكم يَبلُغـني أيـنَ كنتُم». رواه في «المختارة»[1].

فيه مسائلُ:

الأولى: تفسيرُ آيةِ ﴿بَرَآءَةٌ﴾.

الثانية: إبعادُه ﷺ أُمَّتَه عن هذا الحِمَى غايةَ البُعْدِ.

الثالثة: ذِكرُ حِرْصِه ﷺ علينا، ورَأْفتِه، ورَحْمتِه.

الرابعة: نهيُه ﷺ عن زيارةِ قَبْرِه على وَجْهٍ مخصوصٍ مع أنَّ زيارتَه مِن أفضلِ الأعمالِ.

الخامسة: نهيُه ﷺ عن الإكثارِ مِن الزِّيارةِ.

السادسة: حَثُّه ﷺ على النَّافلةِ في البيتِ.

السابعة: أنَّه مُتقَرِّرٌ أنَّه لا يُصَلَّى في المقبرةِ. =

---

(١) «المختارة» للضياء المقدسي (٤٢٨).

= **الثامنة**: تَعلِيلُ ذلك بأنَّ صلاةَ الرجلِ وسلامَهُ عليه يَبلُغُه وإنْ بَعُدَ؛ فلا حاجةَ إلى ما يَتَوهَّمُه مَن أرادَ القُرْبَ.

التاسعة: كَونُه ﷺ في البَرْزَخِ تُعرَضُ أعمالُ أُمَّتِه في الصلاةِ والسلامِ عليه(١).[٨]

[شرح ٨] يقول المؤلف رحمه الله: (باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جنابَ التوحيد وسدِّه كلَّ طريقٍ موصلٍ إلى الشرك) أراد المصنف بهذا بيانَ ما حصل للنبي ﷺ من عنايته لجناب التوحيد من جميع أنواع الشِّرك الأكبر والأصغر، القَوْلي والفِعْلي.

قوله: (وسدِّه كلَّ طريقٍ يوصل إلى الشرك)، أي: في أقواله وأفعاله ـ عليه الصلاة والسلام، فالمعنى: أنه ﷺ دعا إلى التوحيد ونَهى عن الشرك، ثم عُنِيَ بسدِّ الذرائع والأشياء التي تُوصِل إلى الشرك وتَخدِش جانبَ التوحيد.

وهذا يعرفه من تدبَّر نصوص الكتاب والسنة، ومن ذلك ما ذكره في هذا الباب، وما تقدم في الباب الذي قبله من التحذير من =

---

(١) ص٢٨٥-٢٨٦.

....

= اتخاذ المساجدِ على القبور، وزيارةِ النساء لها؛ إلى غير ذلك.

فهو ﷺ بعثه الله داعياً إلى التوحيد، وناهياً عن الشرك الأكبر والأصغر، وناهياً عن وسائل الشرك وذرائعِه التي تُوصِل إليه وتقرِّب منه.

وقوله: (جَنَاب التوحيد) أي: جانبه؛ فجَنَاب الشيء: جانبُه.

وحماية التوحيد بأن يَحميَ حِمَاه، وحِمَاه: ما كان وراءَه وخارجاً منه، وجنابُه جزءٌ منه، وقد حمى التوحيدَ نفسَه وحمى حِماه أيضاً، لأن التوحيد هو أهمُّ الواجبات وأعظمها، والشرك هو أعظمُ الذنوب وأشدُّها خطراً، فلا جَرَمَ أنْ جاءت الرسالة بحماية جناب التوحيد، وحماية حِماه من الشرك بأنواعه.

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]).

هذه الآية فيها وصفُه عليه الصلاة والسلام، فهو من العرب نسباً =

....

= وصِهراً، من جنسهم ويتكلَّم لغتَهم، فهو ﷺ من أنفُسهم ليس بعيداً ولا غريباً عنهم، بل يعرفون نسبَه فيهم، ومدخله ومخرجه، وصدقَه وأمانتَه، بل كانوا يسمونه الأمين لـما عرفوا من نُصْحه وأمانته، عليه الصلاة والسلام.

ولكن لما جاءهم بما يخالف أهواءَهم كذَّبوه وعانَدُوه، فالإنسان يَتْبع هواه حيث كان، فإذا كان صاحبه في هواه لَقِيَه بكل ما يريد، وإذا خالف هواه كذَّبه وأنكره، وسَلَب عنه تلك الألقاب.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشقُّ عليه عَنَتُكم؛ والعَنَت: المشقة والحرج، و«ما» مصدرية، أي: يَعِزُّ عليه ما يشق عليكم ويحرجكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: على هدايتكم وإنقاذكم من النار، وعلى تبليغكم رسالاتِ الله، كلُّ هذا من شأنه عليه الصلاة والسلام، فهو معروف بالصفات والأخلاق الكريمة قبل أن يوحى إليه، وهو معروف أيضاً بالأمانة والصدق والبعد عما عليه الجاهلية =

....

= من الشرك والأخلاق الذميمة، وهو مع ذلك يعزُّ عليه ما يشقُّ على الأمة ويحرجها، ويحرص كل الحرص على سلامتها من ذلك.

حتى إنه ﷺ ربما أحبَّ أن يعملَ العمل فيدعَه لئلا يشقَّ على أُمته، كما فعل في صلاة الليل في رمضان إذ صلى بهم لياليَ ثم ترك ذلك وقال: «خَشِيتُ أن تُفرَضَ عليكم صلاةُ الليل فتَعجِزوا عنها»[١]، ومَنَعهم من الوِصال في الصوم خوفاً عليهم[٢].

ثم قال: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: هو رؤوف بهم، رحيمٌ بهم، يسعى لهم في كل خير، ويأمرهم بكل خير، ويحذِّرهم من كل شر، عليه الصلاة والسلام، ويعمل كلَّ ما فيه نجاتُهم وسعادتهم في الحاضر والمستقبل، ومن قرأ سيرته وأعماله وأخلاقه عرف ذلك.

فالآية الكريمة فيها غاية المدح للنبي ﷺ والثناء عليه وبيان =

(١) أخرجه البخاري: الجمعة (٩٢٤)، ومسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٦١).

(٢) انظر أحاديث النهي عن الوصال عند البخاري: الصوم (١٩٦١-١٩٦٦)، ومسلم: الصيام (١١٠٢-١١٠٥).

....

= أخلاقه الكريمة العظيمة التي جبله الله عليها، ومن ذلك أنه نهاهم عما يضرُّهم فقال: «لا تجعلوا بيوتَكم قُبوراً، ولا تجعلوا قَبْري عِيداً»[1]، فهذا مما حمى به جناب التوحيد، فإنَّ جعلَ بيوتهم قبوراً معناه تعطيلُها من الصلاة والقراءة ونحو ذلك، وهذا يضرُّهم، فإن الإنسان في بيته عنده من الفراغ ومن القُدرة ما ليس في بيوت الناس ولا في خارج بيته.

فإذا أَهملَ بيتَه من الصلاة والقراءة ونحو ذلك، فهو كالقبر وفاته بذلك خيرٌ كثير، وفاتته مصالحُ جَمَّةٌ، فينبغي له أن يَخصَّ بيته بشيء من عباداته ومن صلاته، ولهذا جاء في اللفظ الآخر: «اجعَلُوا من صلاتِكم في بيوتِكم ولا تَتخِذُوها قُبوراً»[2]، وفي لفظٍ عند مسلم: «فإن الله جاعلٌ في بيتِه من صلاتِه خيراً»[3]. وفي لفظ آخر عنده: «فإنَّ الشيطان يَنفِرُ من البيت الذي تُقرَأُ فيه سورةُ =

(١) أخرجه أبو داود: المناسك (٢٠٤٢).

(٢) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٣٢)، ومسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٧).

(٣) أخرجه مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٨).

....

= البقرةِ»[١].

فدلَّ ذلك على أن القراءةَ في البيوت والصلاةَ فيها إنما هي من القربات، ومما يحبُّه الله ﷻ، وهي سببٌ من أسباب وجود البركة في البيت، ومن أسباب قِلَّة الشياطين فيه؛ لأنها تَنفِر من سماع ذِكْر الله، فهي تكره سماعَ الخير وتحبُّ سماع الشر.

فكلما كان أهل البيت أكثرَ قراءةً للقرآن، وأكثرَ مذاكرةً للأحاديث، وأكثرَ ذِكراً لله وتسبيحاً وتهليلاً، كان أسلمَ من الشياطين وأبعدَ منها، وكلَّما كان البيت مملوءاً بالغَفْلة، وأسبابِها من الأغاني والملاهي والقِيل والقال، كان أقربَ إلى وجود الشياطين المشجِّعة على الباطل.

وقوله ﷺ: «ولا تَجعَلوا قَبْري عِيداً» يدلُّ على أنه لا ينبغي ولا يجوز اتخاذُ قبره ﷺ عيداً؛ والعيد كما قال العلماء: هو ما يتكرر مجيئُه عائداً بالسنة أو الشهر أو الأسبوع، فهذا يُسمَّى عِيداً؛ فالمعنى: لا =

---

(١) أخرجه مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٨٠).

....

= تتخذوا قبري محلَّ اجتماعٍ يتكرَّر سنةً أو شهراً أو أُسبوعاً أو نحوَ ذلك، بل يُسلَّم عليه من غير أن يُتخَذَ عيداً، أو أن يُتخَذ مجمَعاً ونحو ذلك.

وقوله: «وصَلُّوا عليَّ فإن صلاتَكم تَبلُغني حيث كنتم» في هذا دعوةٌ للصلاة عليه ﷺ في كل مكانٍ، وليس بالمدينة فقط ولا بقرب القبر.

والمقصود من هذا حثُّ المسلمين وتحريضُهم على أن لا يتجمَّعوا حول قبره ﷺ، أو أنْ يشدُّوا الرِّحَال إليه، فلا حاجة إلى هذا، ولهذا قال في الحديث: «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجدَ: المسجدِ الحرامِ، ومسجدِ الرسولِ ﷺ، ومسجد الأقصى»[1]، وقبرُه ليس منها، فدلَّ ذلك على أنه لا تُشَدُّ الرِّحال لقبر النبي ﷺ لأجل الصلاة عنده، ولأجل السلام عليه.

هذا هو الصواب، وقد خالف في هذا مَن خالف، ولكن =

---

(١) أخرجه البخاري: الجمعة (١١٨٩)، ومسلم: الحج (١٣٩٧).

....

= الصواب قولُ من قال بمنع شَدِّ الرحال من أجل قبره خاصة ﷺ، أما شدُّها من أجل المسجد والصلاة فيه، فهذا قُربةٌ وطاعةٌ، وهكذا المسجد الحرام ومسجد القدس.

وأما شدُّ الرحال إلى القبور، فيُمنَع من ذلك كما يُفهَم من الحديث الصحيح، ولأن شدَّ الرحال إلى القبور وسيلة من وسائل الشِّرك ومَظِنَّة وجود البدع عندها، فإنه إذا ما شَدَّ أحدُهم الرِّحال قاصداً القبرَ، لا يرضى بالصلاة عليه فقط، بل سيأتي ببدعٍ ومُحدَثات؛ لأنه يرى شدَّ الرحال شيئاً متعباً وكبيراً، فكيف يرضى بأن يسلِّم ويمشي؟! فيزيِّن له الشيطان بدعاً وشِرْكياتٍ حتى يأتيَ بها عند القبر، سواءٌ كان قبرَ النبي ﷺ أو غيره.

ولهذا مُنِع من شدِّ الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة، وهذه المساجد يَفعَل فيها ما يَفعَل في المساجد الأخرى، من القراءة والصلاة والاعتكاف ونحو ذلك.

وقد جاء في الحديث الذي ذكره المؤلف عن علي بن الحسين =

....

= ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن أبيه وجدِّه: أنه رأى إنساناً في فرجة عند قبر النبي ﷺ يدعو، فقال: يا هذا، ألا أحدِّثك بحديثٍ سمعته عن أَبي، عن جدي، عن الرسول ﷺ؟ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، فإن تسليمَكم يَبلُغني أينما كنتم»، أي: إنك لستَ محتاجاً لهذا الشيء، ولستَ مأموراً به، وصلاتُك عند قبر النبي ﷺ لا مَزِيَّة لها، فصلِّ عليه حيثما كنتَ، والدعاءُ عند القبر كذلك ليس له حاجةٌ وليس بمشروعٍ؛ فعَلَّمه وأنكرَ عليه.

وروي عن الحسن بن الحسن ابنِ عمِّ علي بن الحسين: أنه رأى رجلاً يأتي إلى هذا المكان، فقال: ما أنتم وأهلُ الأندلس إلا سواءٌ[1]. ونهى عن هذا الأمر، وهذا من السلف الصالح ومن أهل بيت النبي ﷺ، بيانٌ لنا أن اتخاذ القبر محلًّا للدعاء أو للصلاة أو لأي قربةٍ، لا أصل له في الإسلام، وإنما المشروع الزيارةُ فقط، والسلام على الموتى والانصراف. =

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط» ص١٠٩.

....

= فلا ينبغي أن تُتخَذ القبور محلًّا للدعاء وعلى أنه من الواجبات، ولا محلًّا للقراءة عندها لأنها أفضل، ولا للصلاة عندها، فكلُّ هذا لا أصل له، ولكن يَمُرُّ عليها ويزورها للدعاء لأهلها والترحُّم عليهم، ولتذكُّر الآخرة، هذا هو المقصود من زيارتها، وهذا فيه إحسانٌ لهم وإحسانٌ للزائر، فيذكر الآخرة ويذكر الموت ويستعد للقاء الله ﷻ*.

---

* س: هل هذه الأحاديث جيدة؟

ج: نعم، كلها جيدة.

س: حتى التي في «المختارة»؟

ج: نعم، فـ«المختارة» قد اختار فيها أحاديث كلها جيدة، قال الشيخ تقي الدين: إنها أحسن من عمل الحاكم.

باب

ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

۞ وقولِ الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١].

وقولِه تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٦٠].

وقولِه: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١].

وعن أبي سعيدٍ ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَتتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دَخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدخلتُمُوه» قالوا: يا رسول الله، اليهودَ والنصارَى؟ =

= قال: «فَمَنْ؟!». أخرجاه[1].[2] [٩]

[شرح ٩] يقول المؤلف رحمه الله: (باب ما جاء أن بعض هذه الأُمة يعبد الأوثان) يعني: باب ما جاء من النصوص من الآيات والأحاديث الدالَّة على أن بعض هذه الأمةِ؛ أُمةِ محمدٍ ﷺ، يعبد الأوثان، وأراد المؤلف بهذه الترجمة الردَّ على مَن قال: إنَّ أُمة محمدٍ ﷺ لا يقع فيها شركٌ وأنها مطهَّرةٌ من عهد النبي ﷺ إلى يوم القيامة.

وهذا من قول بعض الجَهَلة الذين ليس لهم بصيرة بالنصوص، فيزعُمون أن هذه الأمة لا يقع فيها شركٌ وأن ما يتعلَّق بعبادة الأوثان أو غيرِ ذلك من سبِّ الدِّين أو ما شابَهَ، لا يُسمَّى شِركاً، ويتأوَّلون لهذا تآويلَ، وهذا يقوله الجهلةُ من عُبّاد القبور وأشباههم الذين ليس عندهم بصيرة ولا علم ولا هدى. =

---

(١) أخرجه البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٢٠)، ومسلم: العلم (٢٦٦٩)، بلفظ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراعٍ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم..»، وليس فيه عندهما «حذو القذة بالقذة»، وهي عند أحمد (٤/ ١٢٥) من حديث شداد بن أوس في حديث بنحوه.

(٢) ص٢٨٧.

....

= أما أهلُ العلم والإيمان فقد أَجمعوا على وقوع الشرك في هذه الأُمة بعد وفاته ﷺ، بل ثبتَ أنها في آخر الزمان تُطبِق على الشِّرك ولا يبقى فيها من يقول: لا إله إلا الله، ولا يبقى في الدنيا من يعبد الله وحدَه، فكلُّهم مطبقون على الشرك بالله، وعليهم تقوم الساعةُ كما قال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعةُ حتى لا يقالَ في الأرض: الله الله»[١].

المقصود أنه في آخر الزمان يُرفَع القرآن من الصدور ومن الصُّحف، ويموت المؤمنون؛ ويرسل الله ريحاً طيِّبة تَقبِضُ روحَ كل مؤمن ومؤمنة، ولا يبقى إلا الأشرار وعلنيهم تقوم الساعة، فيأتيهم الشيطان ويزيِّن لهم الشرك وعبادةَ الأوثان والأصنام فيعبدونها كما كانوا في الجاهلية، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «لا يذهبُ الليل والنهار حتى تُعبَدَ اللَّاتُ والعُزَّى»، رواه مسلم في «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها[٢]، وقال ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تَضطَرِبَ أَلَيَاتُ نساءِ دَوْسٍ على ذي الخَلَصَة»، رواه البخاري في =

(١) مسلم: الإيمان (١٤٨).

(٢) مسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٧).

....

= «الصحيح»[1]، وبوَّب عليه: باب تغيُّر الزمان حتى تُعبَد الأوثان، فثبت في النصوص بأن الشرك واقع في هذه الأُمة في الجزيرة وغيرها.

كذلك وقع في غيرهم، فقد قال جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١]، فأخبر سبحانه أن بعض أهل الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت، والجبت فُسِّر بالصنم والوَثَن، وفُسِّر بالسحر، والطاغوت فُسر بالشيطان، وبكل ما جاوز حدَّه من الأقوال والأعمال.

فاليهود والنصارى وجد فيهم من آمن بالجبت والطاغوت، ووجد فيهم من يقول لأهل الكفر: إنهم أهدى من أهل الإيمان سبيلاً، كما فعل حُيي بن أَخطَب وغيره، لما سأله كفارُ مكة عن =

(١) البخاري: الفتن (٧١١٦)، وأخرجه أيضاً مسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٦).

....

= محمد وعن حالهم فقال: أنتم خيرٌ وأهدى سبيلاً من محمد؛ نعوذ بالله من حاله.

فالمقصود أنه وُجِد في أهل الكتاب من فضَّل الكفر على الإسلام وجعله أهدى، وفيهم من عَبَد الطاغوت وآمن بالجِبت، وفيهم من عَبَد الأصنام والأوثان، وهذه الأُمة يقع فيها مثل ذلك؛ لأن الرسول ﷺ قال: «لتتَّبعن سَننَ مَن كان قبلَكم» وقال: «لا تقومُ الساعةُ حتى تأخذَ أُمتي بأَخْذ القرونِ قبلَها شبراً بشبر، وذِراعاً بذراعٍ»[1].

فدلَّ ذلك على أنه يقع في هذه الأمة مثلُ ما وقع في الماضِين، من عبادة الأصنام والأوثان وسبِّ الدين، وتفضيل الكفار على المسلمين.

وهكذا قولُه جل وعلا: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ =

---

(١) أخرجه البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣١٩).

....

= ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠].

وقوله جل وعلا: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوٓاْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [الكهف:٢١].

وقول النبي ﷺ: «لعنَ الله اليهودَ والنصارى، اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ»(١).

إذاً فهذه الأُمة يقع فيها ذلك، لأن الرسول ﷺ أخبر أنها تسلك مسلك من كان قبلها، وفعلاً وقع ذلك، فهذه بلدان كثيرة مملوءة بالقبور المعبودة من دون الله، في مصر والشام، والعراق وباكستان، وغيرها من البلدان، قبور مشيَّدة ومعظَّمة، عليها المساجد والقِباب، تُدعَى وتُسأَل من دون الله عز وجل كما فعل الأوَّلون من اليهود والنصارى وأهلِ الجاهلية.

والأصل في هذا كله قولُ النبي ﷺ في هذا الحديث الصحيح: «لتَتَّبعُن» يخاطب الأُمة، يعني: أُمتَه ﷺ «سَنَنَ مَن كان قبلَكم» =

(١) أخرجه البخاري: الجنائز (١٣٣٠)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٩).

....

= يعني: طُرق من كان قبلكم «حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة»، و«القُذَّة»: الرِّيشة في السهام التي يرمى بها، فكما أن هذه القُذة تحاذي القُذة فأنتم كذلك، ستتبعون مَن قبلكم وتُساوُونهم كما تُساوَى القذة بالقذة، كي تسلكوا مسالكهم وتأخذوا طرائقهم، وتسيرون على نهجهم سواء بسواء، وفي رواية: «شِبراً بشبر وذراعاً بذراع» وهو من باب التأكيد في هذا المقام، وأنه واقع وقوعاً تاماً، مبالغاً فيه جداً.

(حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لدخلتُموه) فلو أن اليهود والنصارى وعُبَّاد الأوثان السابقين دخلوا جُحر ضب، وهو جُحْر صغير، لدخلتموه أنتم أيضاً، وهذا من باب المبالغة؛ فإنهم يضربون المثل بالشيء الذي لا يقع للمبالغة.

(قالوا: اليهودُ والنصارى؟) بالضم، ويروى بالنصب: (اليهودَ والنصارى) على تقدير فعل محذوف (قال: فمَن؟) المعنى: فمَن إلا أولئك.

وفي لفظ آخر: فارس والروم؟ قال: «وهل الناس إلا =

....

= أولئك»[١].

فالمعنى: أن هذه الأمة تسلك مسلك الروم وفارس من العجم، ومسلك النصارى واليهود، من عُبَّاد الأوثان وعُباد الأصنام، ولم يستثنِ جزيرة العرب من غيرها إلا في الأحاديث التي ظنَّها بعضُ الناس استثناء، وهو حديث: «إنَّ الشيطان قد أيس أن يعبده المصلُّون في جزيرة العرب، ولكن في التحريشِ بينهم» من حديث جابر وغيره[٢].

قال أهل العلم: هذا لا يدل على أن الجزيرة مطهَّرة من الشرك، ولكن يدل على أن الشيطان يئس من وقوع الشرك فيها، فإنه عندما رأى ظهورَ الإسلام، وقيامَ النبي ﷺ بجهاد المشركين فيها، وكونَها أَقبلَت على الخير والهدى ـ يئس أن تعودَ إلى حالها الأولى من الشرك. =

(١) أخرجه البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣١٩).

(٢) حديث جابر أخرجه مسلم: صفة القيامة (٢٨١٢).

....

= وقيل: المعنى: أنه يئس لما رأى ظهور الخير، ويأسُه غير معصوم، فقد ييأس من الشيء ويقع، وقد يرجوه ولا يقع.

وقيل في المعنى: إنه يئس أن يعبده المصلُّون في الجزيرة، يعني: الصحابة، فهو يأسٌ معلَّق بزمن الصحابة لا بجميع الأزمان.

وبكل حالٍ فهذه الأجوبة سواء، فسواءٌ القول: إنه يئس أن تعود الحالةُ الأولى بأن تُطبِقَ الجزيرةُ على الشرك، وهذا غير واقع، فلا تزال طائفةٌ على الحق منصورةً حتى تُقبَض أرواحُ المؤمنين والمؤمنات، أو القولُ بأن المراد بذلك أنه يئس أن يعودَ الصحابة إلى الكفر والضلال ـ وهذا والحمد لله لم يقع ـ أو القولُ: إنه يئس لِـما رأى من ظهور الدِّين وظهور الحق، ويأسه غير معصوم، فهو ليس معصوماً في يأسه، كما أنه غير معصوم في رجائه.

وهذا الجوابُ الأخير هو عندي أحسن الأجوبة، وهو أنَّ يأسه غير معصوم، فقد ييأس من الشيء ويحصل، وقد يرجوه ولا يحصل، ولم يقل النبي ﷺ: إن الله يأَّسه، بل قال: إنه يئس. =

....

= وقد وقع في النصوص ما يدل على وقوع الشرك في الجزيرة، كما سبق في حديث ذي الخَلَصة وحديث عِبادة اللَّات والعُزَّى، وكذلك قوله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تَلحَقَ قبائلُ من أُمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائلُ من أمتي الأوثانَ»(١)، فعُلم بذلك أن الجزيرة يقع فيها الشرك كما يقع في غيرها، وقد يكون ذلك أقلَّ من غيرها؛ لأنها منبع الوحي ومهبطه، ولكن في آخر الزمان سوف يقع بلا رَيْب، وسوف تُطبِق الدنيا كلها على الشرك، ولا يبقى في الدنيا من يقول: لا إله إلا الله، وعليهم تقوم الساعةُ، نسأل الله العافية.

وليس معنى وقوعه في الأُمة أن هذا جائز، بل المعنى التحذيرُ منه، وأنه يجب على الأمة أن تحذر الشرك وأن تبتعد عن وسائله وذرائعه، لئلا تقعَ فيه كما وقع فيه غيرها، ولكن مع ذلك يخبرهم أنه لا بدَّ أن يقع ليعلموا الواقع، وليعلموا الحقيقة، وليأخذوا حذرهم من هذا الشرك الذي أخبر النبي ﷺ أنه سيقع، وأن الأمة تَسلُكُ مَسلَكَ من كان قبلها. =

(١) أخرجه أبو داود: الفتن والملاحم (٤٢٥٢)، والترمذي: الفتن (٢٢١٩).

....

= فالمقصود من هذا أمران:

الأمر الأول: الإخبار بوقوع هذا الشيء.

والأمر الثاني: أن الإخبار بوقوعه لا يدلُّ على جوازه، بل يجب الحذرُ منه والبعد عنه، وعن وسائله وذرائعه كما في النصوص الأخرى، والله أعلم*.

---

* **س: إذا لم نستطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنكرنا بقلوبنا، فهل يقتضي ذلك المفارقة؟**

ج: لا يمكن حسابها، فهي حسب الحاله ولا يلزم من ذلك المفارقة، فإذا كان في مجلس فيه منكر يُنكر عليهم، فإن لم يجيبوه قام عنهم، حتى يخوضوا في حديث غيره كما قال الله جل وعلا.

س: عندي زوجة وعندي أولاد، ويجبروني ـ مثلاً ـ على حلق لحيتي، أو أن أشتري لهم شيئاً من الملاهي كالتلفاز، وإذا جاء ـ مثلاً ـ وقت الصلاة، تركتهم يلعبون الكرة وذهبت!

ج: جاهدهم في الله، جاهدهم بحيث لا يكون حبهم مانعاً لك عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يجوز هذا لك، هذا من باب الفتنة =

....

= بالأولاد وعداوتهم إلا من عصم الله، فالواجب الحذر من هذا الشر، وأن تجاهدهم في الله ـ الزوجة والأولاد والأقارب ـ حتى تبرئ الذمة.

س: في مجال عملي أُجبَر على أن أتصور وأصور، فما حكم ذلك؟

ج: هذا من باب ارتكاب أخفِّ الضررين، فكونك تصوِّر أو تشاهد بعض ما لا يرضيك، أهونَ من ترك العمل.

س: حديثٌ وَرَدَ عن النبي ﷺ في الفتن فيه: «فالزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف، ودع ما تُنكر، وعليك بأمر خاصَّة نفسك، واترك عنك أمرَ العامة»[1].

ج: هذا معناه صحيح، ورد في حديث عبد الله بن عمرو، إذا عجز الإنسان عن إنكار المنكر ولم يكن له حيلة، فلا يخالطهم.

س: هل يعتزل؟

ج: في هذه الحالة يسقط عنه الأمر والنهي ويكون معذوراً.

(١) أخرجه أبو داود: الملاحم (٤٣٤٣).

۞ ولمسلمٍ[1] عن ثَوْبانَ ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ الله زَوَى لِيَ الأرضَ، فرَأَيتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها، وإنَّ أُمَّتي سيَبلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لي منها، وأُعطِيتُ الكَنزَينِ الأحمَرَ والأبيضَ، وإنِّي سأَلتُ ربِّي لأُمَّتي أن لا يُهلِكَها بسَنَةٍ بعامَّةٍ، وأن لا يُسلِّطَ عليهم عدُوّاً مِن سِوى أنفُسِهم، فيَستَبيحَ بَيْضَتَهم، وإنَّ ربِّي قال: يا محمدُ، إنِّي إذا قضيتُ قَضَاءً فإنَّه لا يُرَدُّ، وإنِّي أَعطيتُكَ لأُمَّتِكَ أَلّا أُهلِكَهم بسَنَةٍ بعامَّةٍ، وأن لا أُسلِّطَ عليهم عَدُوّاً مِن سِوى أَنفُسِهم، يَستَبيحُ بَيْضتَهم، ولو اجتَمَعَ عليهم مَن بأَقطارِها، حتَّى يكونَ بعضُهم يُهلِكُ بعضاً، ويَسْبي بعضُهم بعضاً».

ورواهُ البَرْقاني في «صحيحه»، وزادَ: «وإنَّما أَخافُ على أُمَّتي الأئمَّةَ المُضِلِّينَ، وإذا وَقَعَ عليهم السيفُ لم يُرفَعْ إلى يومِ القيامةِ، ولا تَقُومُ الساعةُ حتَّى يَلْحَقَ حيٌّ مِن أُمَّتي بالمشركينَ، وحتَّى تَعبُدَ فِئامٌ مِن أُمَّتي الأَوثانَ، وإنَّه سيكونُ =

---

(١) مسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٩).

= في أُمَّتي كَذَّابونَ ثلاثونَ، كلُّهم يَزعُمُ أنَّه نبيٌّ، وأَنا خاتَمُ النبيِّينَ، لا نبيَّ بَعْدي، ولا تَزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتي على الحَقِّ منصورةً، لا يَضُرُّهم مَن خَذَلَهم، حتَّى يأتيَ أَمرُ الله تبارك وتعالى»[١].

فيه مسائلُ:

الأولى: تفسيرُ آية النساءِ.

الثانية: تفسيرُ آية المائدةِ.

الثالثة: تفسيرُ آية الكَهْف.

الرابعة: وهي أَهمُّها: ما معنى الإيمانِ بالجِبْت والطاغُوتِ في هذا الموضِع؟ هل هو اعتِقادُ قَلْبٍ؟ أَو هو مُوافَقةُ أَصحابِها مع بُغْضِها ومَعرِفةِ بُطْلانها؟

الخامسة: قولهم: إنَّ الكفارَ الذين يَعرِفونَ كُفْرَهم أَهْدى سبيلاً مِن المؤمنينَ. =

(١) ورواه ابن ماجه بهذه الزيادة أيضاً: الفتن (٣٩٥٢).

= السادسة: وهي المقصودُ بالتَّرجمةِ: أَنَّ هذا لا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ في هذه الأمَّةِ كما تَقرَّرَ في حديثِ أَبي سعيدٍ.

السابعة: تصريحُه بوُقُوعِها ـ أَعني: عبادةَ الأوثانِ ـ في هذه الأُمَّة في جُموعٍ كثيرةٍ.

الثامنة: العَجَبُ العُجابُ: خروجُ مَن يَدَّعي النُّبوَّةَ؛ مثل المُخْتارِ[1]، مع تَكلُّمِه بالشهادتَينِ، وتصريحِه بأنَّه من هذه الأمَّةِ، وأَنَّ الرسولَ حقٌّ، وأَنَّ القُرآنَ حَقٌّ، وفيه أَنَّ محمَّداً خاتَمُ النبيِّينَ، ومع هذا يُصَدَّقُ في هذا كلِّه، مع التَّضادِّ الواضح، وقد خَرَجَ المختارُ في آخِر عَصْر الصحابةِ، وتَبِعَه فِئامٌ كثيرةٌ.

التاسعة: البِشارَةُ بأنَّ الحَقَّ لا يزولُ بالكُلِّيَّة كما زالَ فيما مضى، بل لا تزالُ عليه طائفةٌ.

العاشرة: الآيةُ العُظْمى: أنَّهم مع قِلَّتهم لا يَضُرُّهم مَن =

---

(١) هو المختار بن أبي عُبيد الثقفيّ، قُتل سنة ٦٧هـ في خلافة عبد الله بن الزبير ﷺ.

= خَذَلَهم، ولا مَن خالفَهم.

الحادية عشرة: أَنَّ ذلك الشَّرْطَ إلى قيامِ الساعةِ.

الثانية عشرة: ما فيه مِن الآياتِ العَظِيمةِ: منها إخبارُه ﷺ بأنَّ اللهَ زَوَى له المشارقَ والمغارِبَ، وأَخبرَ بمعنى ذلكَ فوَقَعَ كما أَخبرَ؛ بخِلافِ الجَنُوب والشَّمالِ. وإخبارُه ﷺ بأنَّه أُعطيَ الكَنزَينِ. وإخبارُه ﷺ بإجابةِ دَعوتِه لأُمَّتِه في الاثنتَينِ، وإخبارُه ﷺ بأنَّه مُنِعَ الثالثةَ. وإخبارُه ﷺ بوُقُوعِ السيفِ، وأنَّه لا يُرفَعُ إذا وَقَعَ.

وإخبارُه ﷺ بإهلاكِ بَعضِهم بعضاً، وسَبْيِ بَعضِهم بعضاً. وخوفُه ﷺ على أُمَّته مِن الأَئمَّة المضلِّينَ. وإخبارُه ﷺ بظُهورِ المُتنبِّئينَ في هذه الأُمَّة. وإخبارُه ﷺ ببقاءِ الطائفةِ المنصورةِ. وكلُّ هذا وَقَعَ كما أَخبَرَ، مع أنَّ كلَّ واحدةٍ منها أَبعَدُ ما يكونُ في العُقولِ.

الثالثة عشرة: حَصْرُ الخوفِ على أُمَّتِه مِن الأئمَّةِ المُضِلِّينَ.

=

= **الرابعة عشرة: التَّنبيهُ على مَعْنى عِبادةِ الأوثانِ**[1].[١٠]

[شرح ١٠] قال المؤلف رحمه الله: (ولمسلم عن ثوبان) ثوبانُ مولى رسول الله عليه الصلاة والسلام (أن رسول الله ﷺ قال: إن الله زَوَى لِيَ الأرض) زَوْيُها: ضمٌّ بعضها إلى بعض، والمعنى أن الله ضمَّ بعضها إلى بعض حتى أَراها نبيَّه عليه الصلاة والسلام، على طولها وعرضها.

(فرأيت مشارقَها ومغاربَها، وإن أُمتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها) يدل على أن مُلكَ الأمة يتسع شرقاً وغرباً، وقد وقع ذلك، فقد اتَّسع ملكُ الأمة إلى حدود الصين من جهة الشرق، وإلى أَقصى المغرب من جهة الغرب، بسبب استقامتهم على دين الله وجهادهم في سبيل الله، فلما صبروا وجاهدوا واستقاموا، أعطاهم الله ما طلبوا ورَجَوْا، وأمنهم وأعانهم، ويسر أمورهم، ونصرهم على أعدائهم.

فلما غيَّر الناسُ غيَّر عليهم، وصارت أملاكهم تؤخذ من =

---

(١) ص٢٨٧-٢٩٠.

....

= أطرافها، حتى صارت الحال إلى ما صارت، بسبب التغيير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

(وإن أمتي سيبلغ مُلكُها ما زُويَ لي منها، وأُعطيتُ الكنزين الأحمر والأبيض) هذا أيضاً من علامات النبوة كالأول، فإن ملك أُمته قد اتسع كما تقدَّم، وهذا من دليل صدقه ﷺ، وأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ رسول الله حقّاً، فقد أخبر بالشيء قبل أن يقع، فوقع كما أخبر.

كذلك أُعطيَ عليه الصلاة والسلام الكنزين الأحمر والأبيض، أي: كنوزَ كسرى وقيصر، فقد يُسِّر للأُمة أيضاً الاستيلاءُ على مملكة كسرى كلها، وعلى ملك قيصر في الشام وما حولها، وصارت غنيمةً للمسلمين، وأُنفقت كنوزهما من الذهب والفضة في سبيل الله.

والأحمر كنايةٌ عن الذهب، والأبيض عن الفضة، وهذا أيضاً قد وقع في عهد عمر، وفي عهد عثمان رضي الله عنهما، فقد استولى المسلمون على مملكة الشام لقيصر، وعلى مملكة الكِسراويين في =

....

= العراق وبلاد العجم، وصارت للمسلمين، وقُضيَ على ملك كسرى بالكُلِّيّة، وشتَّتَ الله شملَه وقَطَع دابرَه، وهذه من علامات النبوة أيضاً.

(وإنِّي سألتُ ربي لأمتي أن لا يُهلكَهم بسَنَة بعامَّة، وأن لا يسلِّط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيحَ بَيضتَهم) وهذا أيضاً من إحسانه عليه الصلاة والسلام، فإنه سأل ربَّه لأمته أن لا يهلكهم بسَنَة عامَّة، كما فعل بالأمم الماضية.

فإن الله ـ جل وعلا ـ أَهلَك أمماً كثيرة عموماً، وقطع دابرها عموماً، بسبب عصيانها، وكفرها بما جاءت به الرسل، كما جَرَى لأقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، وكما جَرَى لفرعون، كلهم أُهلِكوا بأسباب أعمالهم الخبيثة، وعصيانهم للرسل عليهم الصلاة والسلام.

أما هذه الأُمة، فقد أجاب الله تعالى دعوةَ نبيِّه ﷺ في عدم إهلاكها بسَنَة عامَّة، أي: بجَدْب عامّ وقَحْط عامّ يعمُّ الجميع، وإنْ جرى عليها نكَبات ومصائبُ لبعضها، لكنها تبقى حتى تكون آخرَ =

....

= الأمم، وحتى تقومَ على آخرها الساعة.

(وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم) أي: من غير أنفسهم، أي: من الأعاجم من الكَفَرة الذين هم غير العرب (فيستبيح بَيضتَهم) أي: مجتمعهم وموضع سلطانهم.

قوله: (وإن ربي قال: يا محمدُ، إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُـرَدُّ) يبين ﷻ على لسانه نبيه ﷺ أن قضاءه لا يُـرَد، وأن ما أبرمه الله وقضاه وقدَّره على هذه الأمة، فإنه سوف يقع ولا يردُّه رادٌّ.

وهذا هو القضاء المبرَم، القضاء الذي لم يُعلَّق، أما أنواع القضاء الذي قد يعلَّق بأشياء، فإنه يقع بحسب شروطه وآجاله التي قدَّرها الله ﷻ، فقد يكون هلاك فلان معلَّقاً بكذا، وهلاك الأمة الفلانية معلقاً بكذا، وسقوط دولة فلان معلقاً بكذا، إلى غير ذلك.

فما قضاه الله ﷻ من القضاء المعلَّق يقعُ بحسب شروطه، وأما القضاء المبرَم العامُّ للجميع فإنه لا يُرد، فما شاءه جل وعلا وقضاه وقدَّره، فإنه ﷻ مُنجِزٌ قَدَرَه ومنجزٌ ما شاءه ﷻ، لا يردُّه رادٌّ، ولا =

....

= يمنعه مانع.

وأخبر أنه أعطاه لأمته أن لا يُهلِكَهم بسَنَة بعامَّة، وأن لا يسلِّط عليهم عدوّاً من سواهم فيستبيح بيضتهم، وهذا هو الواقع، فإن الله جل وعلا أجاب دعوته، ولكن سأله أن لا يجعلَ بأْسَهم بينهم، فلم يُجِبه[1].

وقد وقع في أوقات كثيرة بأسُهم بينهم، وتقاتلوا كما وقع في عهد عليٍّ ومعاوية، وما بعد ذلك إلى زماننا هذا، ولكن الله جل وعلا حماهم من تسليط غيرهم عليهم حتى يكون بعضُهم يهلك بعضاً، فإذا تشاجروا وتنازعوا سُلِّط عليهم أعداؤهم الخارجيون كما قد وقع، أما إذا استقاموا على دين الله وصبروا على دين الله، فإن الله ينصرهم ويؤيِّدهم ويُعِينهم، ويكفيهم شرَّ أعدائهم، فإذا اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا، فإنَّ هذا من أسباب تسليط الأعداء =

(١) كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، أخرجه مسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٨٩٠).

....

= عليهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد بيَّن جل وعلا في كتابه العظيم أن الأُمة إذا استقامت على دين الله ونصرت الحق، فإن الله ينصرها ويؤيدها، كما قال ﷻ: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧].

وقال ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج:٤٠-٤١].

فأخبرهم الله جل وعلا أنهم متى استقاموا ونصروا دين الله، وأَمروا بالمعروف ونَـهَوْا عن المنكر، فإن الله ينصرهم ويعينهم ويثبِّتهم ويكفيهم شرَّ أعدائهم، ومتى ضيَّعوا واختلفوا وتساهلوا في أمر الله تعالى، سُلِّط عليهم أعداؤهم، ويقع ذلك منه ﷻ على أنه عقوبات معجَّلة لهم.

ومتى رجع المسلمون وأنابوا إلى الله وتابوا، فإن الله ﷻ يرد لهم ما كان شارداً، ويعطيهم ما كان ذاهباً، وينصرهم على أعدائهم، =

....

= فالمعوَّل على رجوعهم، فإذا رجعوا واستقاموا على أمر الله فالله جل وعلا يغير حالهم السيئة إلى حال خير منها، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

فمن رجع إلى الله وتاب وأناب إليه، غيَّر حاله من ذلٍّ إلى عزٍّ، وكذا الأُمة إذا ما رجعت إلى الله وتابت وأنابت إليه، واتفقت فيما بينها، فإن الله يغيِّر حالها من فُرقةٍ إلى جماعة، ومن شِدَّةٍ إلى رخاء وعافية ونعمة، وربك جل وعلا هو الجواد الكريم، وهو على كل شيء قدير سبحانه وتعالى.

قوله: (ورواه البِرقاني) البرقاني بالكسر، ويفتح أيضاً، ضُبطت بالفتح والكسر، وهي نسبة إلى قرية في خُوَارَزْم من بلاد الشرق، نسب إليها الإمام أحمد بن محمد بن أحمد الخُوارزمي البرقاني رحمه الله، وهو إمام شهير من المحدِّثين والفقهاء، وهو من تلاميذ أبي الحسن الإمام المشهور علي ابن عمر الدارَقُطْني رحمه الله، وهو من شيوخ الخطيب البغدادي المعروف صاحب «تاريخ بغداد»، وهو إمامٌ عند أهل العلم ثقةٌ حافظ، له «مستخرج على =

....

= الصحيحين».

وهذه الزيادة رواها في «مستخرجه على صحيح مسلم» لـمّا روى حديث ثوبان الذي رواه مسلم، قال: «وإنما أخافُ على أُمتي الأئمةَ المضلِّين»، أي: في حديث ثوبان من زيادات البرقاني «وإنما أخافُ على أُمتي الأئمة المضلِّين».

وهذا الخبر له مصداقه في أوقات كثيرة، وفي قرون كثيرة، فإن الأئمة المضلِّين شرُّهم عظيم وفسادهم كبير، وهم القادة من الأمراء والعلماء الذين يُضِلون الناس بغير علم، فإن الناس يقلِّدونهم ويتبعونهم على باطلهم وضلالهم.

وقد وقع في الأُمة شرٌّ كثير وفساد عريض بسبب الأئمة المضلين من أهل البدع وملوك وأمراء السوء، فإنهم يضرون كثيراً بأعمالهم السيئة وباقتداء الناس بهم.

وقوله ﷺ: (وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفَع إلى يوم القيامة)، قد وقع هذا، فإنه لما قُتِلَ عثمان ﷺ وصارت الفتنةُ، لم يزل الناس في =

....

= قتال وفتن إلى يومنا هذا، لكنها تقلُّ في بعض الأوقات، فعند استقامة الوُلاة على دين الله تقلُّ الفتن، وعند انحرافهم تكثر الفتن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقوله: (ولا تقوم الساعةُ حتى يلحقَ حيٌّ من أُمتي بالمشركين، وحتى تعبُدَ فِئام) أي أقوام (من أُمتي الأوثان) وهذا أيضاً قد وقع، والساعة لم تقم الآن، وقد وقع هذا المعنى في قرون كثيرة، فقد ارتدَّ كثير من العرب بعد وفاة النبي ﷺ، فقاتلهم الصِّدِّيق والصحابة، ثم بعد ذلك لم يزل يوجد في الأُمة من يرتد عن دينه ويلحق بالمشركين.

وهذا مِصداق ما أخبر به النبي ﷺ من أن هذه الأمة سوف تسلك مسالك مَن كان قبلها من الأُمم، وتتبع سَنَنهم في الشر والفساد، ومن ذلك رِدَّتهم عن الإسلام والتحاقهم بأعداء الله تعالى من اليهود والنصارى، وعُبَّاد الأوثان وغيرهم من الكفرة.

ولم يستثن ﷺ الجزيرة العربية من العودة إلى مظاهر الشِّرك، =

....

= بل أطلقَ، وهذا هو الشاهد من الحديث، فقد ساقه المؤلف من أجل هذه الكلمة، يقول ﷺ: (ولا تقوم الساعةُ حتى يلحقَ حيٌّ من أُمتي بالمشركين، وحتى تَعبُدَ فِئامٌ من أُمتي الأوثان) لأن الترجمة هي (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان)، هذا هو الشاهد من الترجمة: أنه يقع في الأمة من يرتد عن دينه ويعبد الأوثان، ويلتحق بالكفرة من اليهود والنصارى و غيرهم.

ثم قال: (وإنه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبيٌّ وأنا خاتم النبيين لا نبيَّ بعدي) وقد وقع هذا أيضاً، فقد تنبَّأ كثيرون منهم في عهد النبي ﷺ وفي عهد الصحابة.

ففي عهده ﷺ تنبأ مُسيلِمةُ والأسود العَنْسي، وقد قُتِلا، ثم بعد ذلك تنبأ المختار بن أبي عُبيد الثقفي في العراق وقتله مصعب ابن الزُّبير بأمر أخيه عبد الله، وكذلك تنبأ الحارث الكذاب ـ وهو الحارث بن سعيد ـ وقتل في الشام أيضاً، وتنبأ آخرون، ولم يزل يوجد ذلك. =

....

= والمراد أن هؤلاء المتنبِّئين الكذابين يكون لهم شوكة وأتباع، هذا هو المراد، وإلا فالمتنبئون كثيرون جداً يزيدون على الثلاثين، لكن بعضهم يتنبأ لخلل في رأسه، أو لمرض أو جنون يصيبه، فلا عِبْرة بهؤلاء، ولذلك حَصَرهم النبي ﷺ بقوله: «قريبٌ من ثلاثين»[1]، وهم الذين يكون لهم شوكة، ويكون لهم شُبهة، ولهم أتباع.

وآخرهم المسيح الدجال ـ قبحه الله ـ فإنه خاتم لهؤلاء الكذابين الكفرة، فإنه يدَّعي النبوةَ أولاً، ثم يتبعه أتباع، فينتقل من النبوة إلى دعوى الإلهية، ويقول: إنه رب العالمين، ويُظهِر الخوارق التي معه للناس، فيتبعه أممٌ كثيرة، قال النبي ﷺ: «ما بين خَلْق آدم إلى قيام الساعة، أمرٌ أكبرَ من الدجال». رواه مسلم في «الصحيح» من حديث هشام بن عامر[2].

وأمرُ فتنة الدجال عظيم جدّاً، ولذلك أَمر النبي ﷺ بالتعوذ =

(١) أخرجه البخاري: الفتن (٧١٢١)، ومسلم: الفتن وأشراط الساعة بإثر حديث (٢٩٢٣) (١٥٧).

(٢) أخرجه مسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٩٤٦).

....

= من فتنته في آخر الصلاة، وهي من الأربع اللاتي كان النبي ﷺ يستعيذ منهنَّ في آخر الصلاة[1].

وإنما سُمِّيَ دجالاً لكثرة كذبه وترويجه للباطل، وتزويره على الناس حتى يغترَّ به الكثيرون من الناس في آخر الزمان، نسأل الله العافية والسلامة.

المقصود أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بيَّن أنه خاتم النبيين وآخرهم، لا نبيَّ بعده، ومن ادَّعى النبوة بعده فهو كافر كاذب مخالف لنصوص الكتاب والسنة*. =

* س: يقولون: إن ابن كثير كان ينكر المهدي؟

ج: لا، فقد جعل له ترجمة خاصة في كتاب «النهاية» ذكر فيه الأحاديث، وبيَّن خطأ الرافضة في دعواهم أنه مهديُّهم.

س: ولماذا يُنكَر المهدي، هل أحاديثه ضعيفة؟ =

(١) انظر حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عند البخاري: الجنائز (١٣٧٧)، ومسلم: المساجد (٥٨٨).

....

= ثم قال بعد ذلك: (ولا تزالُ طائفةٌ من أمتي على الحق منصورةً لا يضرُّهم من خذلهم حتى يأتيَ أمر الله تبارك وتعالى) هذه أيضاً بِشارة من النبي ﷺ أن هذه الأمة لا يزال فيها الحق بحمد الله، فلا ينقطعُ منها أبداً إلى آخر الزمان، فلا يزال فيها طائفة ثابتة على الحق علماً وعملاً تظهره، وتُعلِنه وتدعو إليه.

ولا يلزم مَن هم على هذه الصفات أن يكونوا في محلٍّ معيَّن، فقد يكونون في الجزيرة، أو خارجها، وقد يكون بعضهم في الجزيرة =

= ج: هذا ذكروه عن ابن خلدون صاحب «المقدمة» أنه يضعِّف الأحاديث ويقول: إنها غير صحيحة، والصواب: أن بعضها صحيح وبعضها ضعيف وبعضها موضوع، ففيه أحاديث صحيحة ثابتة، وأهل السنة والجماعة يُثبِتون المهديَّ، ويرون أنه من أشراط الساعة.

س: وما درجة حديث: «لا مهدي إلا عيسى»[1]؟

ج: حديث ضعيف، ليس بصحيح.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٤١).

....

= وبعضهم خارجها، فما ذكر لهم ﷺ محلًّا معيَّناً، بل قال: «ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة»، فقد يكونون في بلدان كثيرة أو في مقاطعات كثيرة، وقد يجتمعون في مكان وقد يفترقون، هذا كله ليس له ضابط.

فالمقصود أنهم موجودون، وأنهم منصورون، وأنهم مؤيَّدون، وهذه بِشارة من الله جل وعلا للنبي محمد ﷺ، وفي حديث البخاري عن معاوية قال: «لا تزالُ هذه الأُمة قائمةً على أمر الله لا يضرُّهم مَن خالفهم حتى يأتيَ أمر الله»[١]. فجاء: «لا يضرُّهم مَن خالفهم»، وجاء: «لا يضرُّهم مَن خذلهم»[٢]، وجاء الجمع بينهما في بعض الروايات: «لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم»[٣].

وهذا من نِعَم الله عليهم ومن فضله ﷻ ومن البشارات، فمع قِلَّتهم وتفرُّقهم في البلاد لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، =

(١) أخرجه البخاري: العلم (٧١).

(٢) عند مسلم: الإمارة (١٩٢٠).

(٣) عند البخاري: المناقب (٣٦٤١)، ومسلم: الإمارة (١٩٢٣) (١٧٤).

....

= فيُظهِرون الدين ويدعون إليه ويبشرون به، وقد وُجد بحمد الله الآن حركاتٌ إسلامية في بلدان كثيرة وفي مقاطعات كثيرة كلُّها تدعو إلى الإسلام على ضَوْء الكتاب والسنة.

وهذا مما يدل على صدق هذا الخبر وصدق قائله، وأنه حق، وأنه جاء عن الله حقّاً، فالأمة لا تنقطع بحمد الله، فلا يزال فيها من يدعو إلى الله، ويبشِّر بالحق ويدعو إلى الكتاب والسنة.

وقوله: (حتَّى يأتيَ أمر الله) وأمر الله ريح طيِّبة في آخر الزمان قريب الساعة يقبض الله بها أرواح المؤمنين والمؤمنات، ثم يبقى الأشرار، فعليهم تقوم الساعة، فلا تزال الأمة فيها حق وفيها هدًى، حتى تأتي هذه الريح، فهي ريح عظيمة يرسلها الله على عباده كما جاءَ في الأحاديث الصحيحة، فتقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات، ويبقى الأشرار، فعليهم تقوم الساعة؛ كما جاءت به النصوص عن النبي ﷺ[1].

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (١٩٢٤) و(٢٩٠٧) و(٢٩٣٧) و(٢٩٤٠).

....

= وقوله: (تبارك وتعالى) «تبارك» هذا اللفظ مما يُستعمَل في حقِّ الرب ﷻ، ولا يُستعمل في حق الناس، فلا يقال: تبارك فلان، ولا تباركت فلانة، بل هذا من خصائص الله؛ لأنها صيغة مبالغة، فلا تستعمل إلا في حق الله ﷻ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١]، ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

فهذا الوصف خاصٌّ بالله ﷻ، ومعنى «تبارك»: بلغ النهاية، فيقال: فلان مبارَك، أي: بارك الله فيه، ولا يقال: تبارَكْت علينا يا فلان، بل يقال: جعلك الله مبارَكاً، أو أنت مبارَك يا فلان، وما أشبهَ ذلك، فلا يقال: تباركت.

هذا هو الصواب في هذه المسألة؛ لأنها صيغة جاءت في وصف الله ﷻ، ولم تأت في وصف غيره أبداً، وإنما جاءت في وصفه ﷻ فحسب، وهو المستحق لذلك، فإنه متبارِكٌ وعبده مبارَك*.

* س: وقولهم «زارتنا البركة»؟ =

....

= ج: لا أعلم في هذا شيئاً، فهو من باب الرجاء، إذا ظنوا أن في هذا الشخص بركة، وأن زيارته تترتب عليها بركة، مثلما قال أسيد بن حضير في قصة عائشة لما نزلت آية التيمم: «ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر»[١].

فبعض الناس مبارك، فقد تأتي على يديه البركة.

وفق الله الجميع، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه.

---

(١) أخرجه البخاري: التيمم (٣٣٤)، ومسلم: الحيض (٣٦٧).

باب

ما جاء في الكُهَّان ونحوهم

❁ روى مسلم في «صحيحه» عن النبي ﷺ قال: «مَن أَتى عرَّافاً فسأَلَهُ عن شيءٍ، فصَدَّقه بما يقولُ، لم تُقبَل له صلاةٌ أربعينَ يوماً»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَن أَتى كاهناً فصَدَّقه بما يقول، فقد كَفَر بما أُنزل على محمدٍ ﷺ». رواه أبو داود[٢].

وللأربعةِ والحاكم ـ وقال: صحيحٌ على شَرطِهما ـ عن النبي ﷺ: «مَن أَتى عَرَّافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول، فقد =

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٣٠)، وجملة: «فصدقه بما يقول» ليست عنده، وهي عند أحمد (٥/ ٣٨٠).

(٢) أبو داود: الطب (٣٩٠٤)، وأخرجه الترمذي: الطهارة (١٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٩٦٨)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٦٣٩).

= كَفرَ بما أُنزل على محمدٍ ﷺ»[١]. ولأبي يعلى[٢] بسندٍ جيدٍ عن ابن مسعودٍ مثله موقوفاً.

وعن عِمرانَ بن حُصَينٍ مرفوعاً: «ليسَ منّا مَن تَطَيَّرَ، أَو تُطُيِّرَ له، أو تَكهَّنَ، أَو تُكُهِّنَ له، أَو سَحَرَ، أَو سُحِرَ له، ومَن أَتى كاهنًا فصَدَّقَه بما يقولُ، فقد كَفَر بما أُنزِلَ على محمَّد ﷺ». رواهُ البَزَّارُ[٣] بإسنادٍ جيِّد.

ورواه الطبرانيُّ في «الأوسط»[٤] بإسنادٍ حَسَن من حديثِ ابن عَبَّاس دونَ قولِه: «ومَن أَتى...» إلى آخره.

قال البَغَويُّ[٥]: العَرَّافُ: الذي يَدَّعي مَعرِفةَ الأُمور بمُقدِّماتٍ يُستَدلُّ بها على المسروقِ، ومكانِ الضَّالَّةِ، ونحو ذلك. =

(١) انظر التعليق السابق، وهو عند الحاكم (١/ ٨).

(٢) في «مسنده» برقم (٥٤٠٨).

(٣) في «مسنده» برقم (٣٥٧٨).

(٤) برقم (٤٢٦٢).

(٥) في «شرح السُّنة» ٢/ ١٨٢.

= وقيل: هو الكاهنُ. والكاهنُ: هو الذي يُخبِرُ عن المُغيَّبات في المستقبلِ.

وقيل: الذي يُخبِرُ عمَّا في الضمير.

وقال أَبو العبّاسِ ابنُ تَيمِيَّةَ: العَرَّافُ: اسمٌ للكاهنِ، والمُنجِّمِ، والرَّمَّال، ونحوهم، ممَّن يَتكلَّمُ في معرفة الأُمور بهذه الطُّرُق.

وقال ابنُ عَبَّاسٍ في قومٍ يكتبونَ «أَبا جادٍ»، ويَنظُرونَ في النُّجومِ: ما أَرَى مَن فَعَل ذلك له عندَ الله من خَلَاقٍ[1].

فيه مسائلُ:

الأولى: لا يجتمعُ تصديقُ الكاهنِ مع الإيمانِ بالقرآنِ.

الثانية: التصريحُ بأنَّه كفرٌ.

الثالثة: ذِكرُ مَن تُكُهِّنَ له.

الرابعة: ذِكرُ مَن تُطُيِّرَ له. =

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٩).

= الخامسة: ذِكرُ مَن سُحِرَ له.

السادسة: ذِكرُ مَن تَعلَّمَ أَبا جادٍ.

السابعة: ذِكـرُ الفَـرْق بيـن الكاهنِ والعَـرَّاف[1].[١١]

[شرح ١١] قال المؤلف رحمه الله: (باب ما جاء في الكهان ونحوهم) كالرمَّالين والمنجِّمين والمتطيِّرين وأشباههم.

لما ذكر السحر وبعض أنواعه أراد أن يكمل الفائدة لطالب العلم في بيان حكم الكهان؛ لأن الكهان يُبتَلى بهم الناس في كثير من البلدان ولهم شُهْرة في الجاهلية، فلهذا أراد المؤلف أن يبين حكم سؤالهم والمجيء إليهم، والكهان جمع كاهن: وهو الذي له رِئيّ من الجن أو صاحب من الجن يخبره ببعض المغيَّبات، فقد كان في العرب أناس يُسمَّون الكهان، يأتي الناس إليهم يسألونهم عن بعض الأشياء، ومثل الكهَّان الرمَّالون والعرَّافون والمنجمون وأشباههم ممن يدعي معرفة الغيب كما سيأتي إن شاء الله في آخر الباب. =

---

(١) ص٢٩٣-٢٩٥.

....

= والحكم في ذلك أنه لا يجوز إتيانهم ولا سؤالهم ولا تصديقهم؛ فقد نهى النبي ﷺ عن إتيانهم كما ثبت عنه في «الصحيح» وغيره: أنه نـهى عن إتيان الكهان وعن سؤالهم، فمن ذلك ما رواه مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ ـ قال أبو مسعود الدمشقي: إنها حفصة بنت عمر ـ أن النبي ﷺ قال: «مَن أَتى عرَّافاً فسأله عن شيء، لم تُقبَل له صلاة أربعينَ يوماً»[1].

هذا يدلُّ على تحريم سؤال العرَّافين والمنجمين ومن يدَّعون الغيب؛ لأن سؤالهم وسيلةٌ إلى إشهارهم بين الناس، ومجيء الناس إليهم، فسَدَّ النبي ﷺ الباب بالنهي عن سؤالهم، حتى لا يُؤتَوا أبداً.

وقال معاوية بن الحَكم للنبي ﷺ: كنا نأتي الكهانَ! قال: «فلا تَأْتوا الكُهانَ»[2]، وفي رواية: «ليسوا بشيء»[3]، فالواجب أن لا يُؤتَوا وأن لا يُصدَّقوا من باب أَولَى، فسؤالهم وسيلة إلى تصديقهم، =

(١) مسلم: السلام (٢٢٣٠).

(٢) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٢٧)(١٢١).

(٣) مسلم: السلام (٢٢٢٨)(١٢٣).

....

= وفيه إشهارٌ لهم وإغراء بأعمالهم، فلهذا نهى النبيُّ ﷺ عن سؤالهم، وأخبر أن من سألهم لا تُقبَل له صلاة أربعين يوماً، وهذا وعيدٌ شديدٌ جداً.

قال النووي رحمه الله: المعنى أنه لا يكون له ثوابُها ولكن لا يُؤمَر بقضائها بإجماع المسلمين. اهـ

وأما قول المؤلف في رواية مسلم: «فصدَّقه بما يقول»، فكأنه سبقُ قلمٍ من المؤلف أو من بعض النُّساخ، فالرواية في «صحيح مسلم» ليس فيها: فصدقه، بل لفظها: «مَن أَتى عرَّافاً فسأله، لم تُقبَل له صلاة أربعينَ يوماً» من دون ذكر التصديق، وانتبه لهذا الشارحُ وبيَّنه، وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه ففيه ذكر التصديق.

وهكذا رواية أبي يعلى عن ابن مسعود موقوفاً، وهكذا رواية البزار عن عمران بن حصين مرفوعاً؛ فكلُّ هذا يدل على أنه لا يجوز تصديق الكهان ولا سؤالُهم، بل يحرم سؤالهم والمجيء إليهم =

....

= وتصديقهم؛ لأن في ذلك إظهاراً لشأنهم، ولأن في تصديقهم الإيمان بعلمهم الغيب، وهذا من أبطل الباطل وأضلِّ الضلال، فلا يعلم الغيب إلا الله ﷻ، كما قال عزوجل: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، وكما قال ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩].

ولكن من طريقة الكهان تلقِّي بعض العلوم عن الشياطين والجن وعن مُسترِقِي السمع، فقد يخبرون بما قد يقعُ في السماء مما يتكلَّم به الملائكة، فيَصدُقون في الواحدة ويَكذِبون في الشيء الكثير، كما جاء في الرواية «يكذبون معها مئةَ كذبة»[1].

وقد تأتيهم الشياطين بالأخبار من النواحي: مات فلانٌ في المحلّ الفلاني، جرى كذا، جرى كذا، ولا سيما ذاك الوقت قبل وقتنا هذا، فإن الجن لها عناية بإغواء الناس والكذب عليهم، فقد تأتي بالأخبار من الشام والعراق وبلاد السِّند والجهات الأخرى، =

(١) أخرجه البخاري: بدء الخلق (٣٢١٠)، ومسلم: السلام (٢٢٢٨).

....

= من أخبار قيام مَلِك أو سقوط مَلِك أو موت إنسان أو ما أشبهَ ذلك، فيخبروا به صاحبَهم في بلده، فيتعجب الناس من ذلك؛ كيف يدري هذا وبيننا وبينه بلاد ومسافات كثيرة.

وربما ظنُّوا أنه يعلم الغيب، وهو إنما يأتيه بالأخبار الجنُّ، وهذا شيء مشهور، فالجن لهم سرعة في التنقل، وقد ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في «البداية والنهاية»: أن أهل الشام عَلِموا مقتلَ عليٍّ رضي الله عنه في نفس اليوم الذي قُتل فيه، بسبب جِنِّي كان أَتى إلى بعض أصحابه فقال: عندك شيء؟ قال: ما عندي شيء إلا كذا وكذا، قال: ما خبرُك؟ قال: قُتل علي هذه الليلة، قتله غلام. ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» في ترجمة علي.

فالمقصود أن الجنَّ لهم حركة وسرعة في التنقلات من هنا إلى هناك، ومن هناك إلى هنا، فلهذا قد تأتي بأخبار جديدة إلى أوليائهم من السَّحَرة والكَهَنة فيخبرون بها.

فالرسولُ ﷺ أراد سدَّ الباب وحَسْم هذه المسألة وإلغاءَها، =

....

= حتى لا تكونَ سبباً للوقوع في الشرك وتصديق الناس في ادِّعاء علم الغيب، فمن صدَّقهم بما يدَّعون من علم الغيب، فهو كافرٌ بما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن والسنة، فإن في القرآن والسنة بيانَ أنه لا يعلم الغيبَ إلا الله، فمن صدقهم في علم الغيب فقد كذَّب الله عز وجل، فيكون كافراً والعياذ بالله، وسؤالهم وسيلةٌ إلى ذلك، فلهذا نهى النبيُّ ﷺ عن سؤالهم وعن إتيانهم؛ لأن ذلك وسيلة إلى التصديق، فوَجَبَ منعُ ذلك وسدُّ الباب كما جاءت به الأخبار عن النبي ﷺ من طرق كثيرة وعن عدة من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، والله جل وعلا أعلم*.

---

* **س: الأبراج التي في الصحف مثل: من كان برجه كذا وكذا فهو كذا وكذا، أليس هذا من الكهانة؟**

ج: هذه من أمور التنجيم ونوع من الكهانة، وهي خاصَّة بالتنجيم وبعلوم التنجيم، وسيأتي البحث فيه.

س: هل هذا من الكفر الأكبر؟

ج: إذا صدَّقه في علم الغيب يكون كفراً أكبر، أما إذا صدَّقه في قضيةٍ =

....

= واقعة أنه جرى كذا وجرى كذا في قضيةٍ معيَّنةٍ، فهذا محلُّ خلاف، فبعض أهل العلم قال: كفرٌ أكبر، وبعضهم قال: كفرٌ أصغر، وبعضهم قال: يجرى على ظاهره من باب الزجر عن هذه المسائل، لكن إذا صدق أنه يعلم الغيب كان كفراً أكبر ـ نعوذ بالله.

س: أيُقتَل الساحر من دون استتابةٍ؟

ج: نعم، وهو الصواب والأظهر.

س: وما الحُجَّة على ذلك؟

ج: ما روي من فعل عمر، وحفصة، وجندب[1]، ولأن شرَّه يستطير وَيعظُم على الناس؛ فلهذا أُمر بقتله تأسياً بعمر والصحابة ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ في ذلك؛ لأنهم أعلم بالله وبدينه ممن بعدهم، ولأن شرَّ الساحر ينتشر إذا تُرك؛ فقد يدَّعي التوبة وهو كاذب، فيحصل به شرٌّ عظيم للناس؛ ففي قتله قطعٌ لدابر هذا البلاء.

س: فإذا قال: تبتُ، وهو صادقٌ؟

ج: إذا كان صادقاً فإنه ينفعه فيما بينه وبين الله، وأما عندنا فلا نتركه، =

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» (٣٠٤٣)، و«موطأ مالك» (١٦٢٤)، و«تاريخ البخاري الكبير» (٢/ ٢٢٢).

....

= وهذا كلُّه إذا كانت توبته بعدما أمسكناه، أما إذا جاءنا تائباً نادماً ولم نعرف عنه شيئاً دون أن نمسكه أو نضبط عليه شيئاً، فهذا يجب قَبُول توبته ولا يُقتَل، لأنه جاء تائباً غير خائف، كأنْ يأتيَ قُطَّاع الطريق خائفين نادمين، فتُؤخَذ منهم الحقوق ولا يُقتَلون؛ لقول الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٣٤].

س: وإذا سبَّ الله تعالى؟

ج: فيه خلافٌ بين أهل العلم، والصواب أنها لا تُقبَل توبتُه إذا سبَّ الله تعالى.

باب

۞ قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

وقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

وعن ابن عبَّاسٍ: أنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عن الكبائرِ، فقال: «الشِّركُ بالله، واليأْسُ من رَوْحِ الله، والأَمْنُ من مَكْرِ الله»[١].

وعن ابن مسعودٍ قال: أكبرُ الكبائر الإشراكُ بالله، والأمنُ من مَكْرِ الله، والقُنوطُ من رحمة الله، واليأسُ من رَوْح الله» رواه عبد الرزاق[٢]. =

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٢٠١).

(٢) في «مصنفه» (١٩٧٠١).

= فيه مسائلُ:

الأولى: تفسيرُ آية الأعرافِ.

الثانية: تفسيرُ آية الحِجْر.

الثالثة: شِدَّةُ الوَعيدِ فيمَنْ أَمِنَ مَكْرَ الله.

الرابعة: شِدَّةُ الوَعيدِ في القُنُوطِ[1].[١٢]

[شرح ١٢] يقول المؤلف رحمه الله تعالى: (باب قول الله جل وعلا: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾، وقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾) أراد المؤلف بهذه الترجمة بيانَ تحريم الأَمْن من مكر الله، وبيانَ تحريم القُنوط من رحمة الله، فالواجب على كل مؤمن أن يسيرَ إلى الله ﷻ بين الخوف والرجاء، كما كان عليه حالُ الرسلِ وحالُ أتباعهم، قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يعني: الرسل ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ الرَّغَب: الرجاء، والرَّهَب: الخوف ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]. =

---

(١) ص٣٠٤-٣٠٥.

....

= وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾[الإسراء: ٥٧].

فالمقصود أن الأصل في حال المؤمن العيش بين الخوف والرجاء بأن يعمل الصالحاتِ ويدعَ المحرَّمات ويتقربَ بأنواع القُرُبات، وليس مع ذلك قانطاً ولا آمناً، بل يرجو رحمةَ ربه بما وَعَدَ به أهلَ طاعته، ويخاف عقوبته مما يقترفُه العبد من السيئات؛ لأنه خطَّاء.

هكذا ينبغي أن يكون المؤمنُ في جميع أحواله؛ بين الخوف والرجاء، فلا يقنط لسوء أعماله، ولا يأمن لما يظنُّ في نفسه من حُسن العمل، فيغترَّ بذلك، فاحذر أيها المؤمن وكن مُسارِعاً للخيرات ومَزِيد الطاعات مع الحذر من الأَمْن من مَكْر الله تعالى.

وإياك وتلعُّبَ الشيطانِ بك بأن يقول لك: أنت قد بلغتَ الذّرْوة، قد بلغت القِمَّة في العمل الصالح، فلا تخش شيئاً واجزم بأنك ناجٍ وأنك مع السعداء، فيغرُّك هذا الغَرُور حتى تقع في =

....

= العُجْب بعملك، وحتى تقع في شيءٍ من الأخطاء والأغلاط التي يُحمَل عليها الأَمْن، ولكن كن على حذر، وذلك بأن تعمل وتجتهد، ومع هذا تخشى شرَّ نفسك، وتخشى عقوبةَ ربِّك؛ لأنك تعلم أنك مهما فعلتَ ومهما اجتهدتَ، فأنت محلُّ التقصير ومحلُّ الخطأ في سائر الأحوال.

وفي المقابل لا تَقنَطْ لسوء العمل ولا تيأسْ من رَوْح الله، فيَتغلَّب عليك الشيطان، فيقول: أنت مقصِّر، وأنت فعلتَ كذا وفعلتَ كذا، حتى يخرجَك من الرَّجاء إلى القنوط واليأس، فهذا أيضاً منكر، ولكن كُنْ بين ذلك، لا هذا ولا ذاك، قال عز وجل: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، فلا يجوز لا هذا ولا هذا، ولكن تمشي وتسير إلى الله بين الخوف والرجاء. =

....

= قال بعض السلف: ينبغي للسائر إلى الله جل وعلا أن يكون الخوف والرجاء له كالجناحين للطائر، إذا مال إلى أحدهما تضرَّر؛ فلا يميل إلى الخوف ولا إلى الرجاء، بل يسير إلى الله جل وعلا خائفاً راجياً، لأنه إذا سار مع الخوف يخشى عليه القنوط، وإذا سار مع الرجاء يُخشى عليه الأمن المُفْضي إلى الغرور، فلا بد أن يكون بينهما.

وقال بعض السلف: ينبغي أن يُغلِّب جانب الخوف في حال الصحة حتى يجتهد في أنواع الخير، ويحذر أشدَّ الحذر من السيئات، فإذا جاء المرض ينبغي له أن يغلِّب جانب الرجاء حتى يحسن ظنَّه بربه، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يموتَنَّ أحدُكم إلا وهو يحسن الظنَّ بالله عز وجلَّ» رواه مسلم[1].

ولكن الأَولى هو المتقدم، بأن يكون دائماً بين الرجاء والخوف ومع ذلك يحسن ظنه بربه ولا يسيء الظن به، ولكن لا يحمله حسنُ =

(١) مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٧).

....

= الظن على الأَمن، كما لا يحمله الخوفُ على القُنُوط، بل يبقى أبداً بين الرجاء والخوف، وأن يسألَ الله العافيةَ والسلامةَ وحُسنَ الخِتام.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ أنه سُئل عن الكبائر، فقال: «الشِّركُ بالله، واليأْسُ من رَوْح الله، والأَمْنُ من مَكْر الله»[١] هذا الحديث يُروى مرفوعاً عن النبي ﷺ، قال الحافظ ابن كثير: والأقرب أنه موقوفٌ عن ابن عباس. وكذلك حديث ابن مسعود موقوفاً عليه: أكبرُ الكبائرِ الإشراكُ بالله والأَمنُ من مَكْر الله، والقُنوطُ من رحمة الله، واليأسُ من رَوْح الله[٢].

هذه كلها كبائرُ، ودلَّ الكتاب والسنة على أنها كبائرُ، والشرك أكبرها، فالشرك بالله هو أكبرُ الكبائر بإجماع أهل الحق كما يدلُّ عليه قوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨]. =

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٢٠١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٧٠١).

....

= وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة: ٧٢]، ما جاء مثلُ هذا الوعيد في غير الشرك؛ فدلَّ ذلك على أنه أكبرُ الكبائر.

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سأل النبيَّ ﷺ: أيُّ الذنبِ أعظمُ؟ قال: «أنْ تجعلَ لله نِدّاً وهو خَلَقَك»[1].

فأعظمُ الذنوب الشركُ بالله عز وجل، وهو أعظم الجرائم، ومن ماتَ عليه فلا مغفرةَ له والجنة عليه حرام، نعوذ بالله.

ثم بعد ذلك فالكبائرُ أنواع وطبقات، ومن أكبرها اليأسُ من رَوْح الله، والقُنُوط من رحمة الله، والقنوط هو أشدُّ اليأس، ومن أكبرها أيضاً قتلُ النفوس بغير الحق، فإنه من أكبر الكبائر، وهو أحدُ السبع المُوبِقات كما قال النبي ﷺ: «اجتَنِبوا السبعَ المُوبِقات» قلنا: وما هنَّ يا رسول الله؟ قال: «الشركُ بالله، والسِّحرُ، وقتلُ النفس التي حَرَّم الله إلا بالحقِّ، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيم، =

---

(١) أخرجه البخاري: التفسير (٤٤٧٧)، ومسلم: الإيمان (٨٦).

....

= والتولِّي يومَ الزَّحْف، وقَذْفُ المُحصَناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ»[1].

ومن الكبائر أيضاً الغِيبةُ والنَّميمة، وشهادةُ الزُّور، واليمين الغَمُوس.

فيجب على المؤمن أن يحذر أشدَّ الحذَرِ من كبائر الذنوب وصغائرها، وأن يكون الحذرُ من الكبائر أشدَّ، مع عدم غفلته عن الصغائر؛ لأنها غير منضبطة، إذ ليس هناك نصٌّ واضح في التفريق بين الكبيرة والصغيرة، وإنما هي أقوال لأهل العلم، فإن كان ضبط الكبيرة من الصغيرة فيه شك فينبغي للعاقل الحازم أن يحذر سيئاتِه كلَّها؛ لئلا يقع في كبيرة يظنها صغيرة، فينبغي له أن يأخذ بالحزم ويحذر الذنوب كلها، ويتباعد عنها، ويرجو من الله التوفيق والسلامة منها.

ومـمّـا يُروى عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «إياك =

(١) أخرجه البخاري: الوصايا (٢٧٦٧)، ومسلم: الإيمان (٨٩).

....

= ومُحَقَّراتِ الذنوبِ، فإنَّ لها من الله طالباً»[١]، وفي لفظ: «فإنهن يجتمعنَ على الرجلِ حتى يُهلِكْنَه» ثم ضرب لهذا مثلاً قال: «كمَثَل قومٍ نزلوا أرضَ فَلَاةٍ فحَضَر صَنيعُ القوم ـ يعني غداءهم وعشاءهم ـ فجعل الرجلُ ينطلقُ فيجيءُ بالعُودِ، والرجلُ يجيءُ بالعُودِ، حتى جَمعُوا سَوَاداً فأَجَّجُوا ناراً وأَنضَجُوا ما قَذَفُوا فيها»[٢]، وهكذا الإنسان قد يتساهل فيأتي بهذه السيئة التي يراها صغيرةً ويأتي بالأخرى والأخرى والأخرى، حتى تجتمع عليه فتكون سبباً لهلاكه، نعوذ بالله.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: الزهد (٤٢٤٣)، وأحمد (٦/ ٧٠) واللفظ له، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٢) من حديث ابن مسعود ﷺ.

باب

من الإيمان بالله تعالى الصبر على أقدار الله

۞ وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١].

قال عَلْقمةُ: هو الرجلُ تصيبُه المصيبةُ فيَعلَمُ أنها من عندِ الله، فيَرضَى ويُسلِّم[١].

وفي «صحيح مسلمٍ» عن أبي هريرةَ ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «اثْنتانِ في الناسِ هما بهم كُفرٌ: الطَّعنُ في النَّسَب، والنِّياحَةُ على المَيِّتِ»[٢].

ولهما عن ابنِ مسعودٍ مرفوعاً: «ليسَ منَّا مَن ضَرَب الخُدودَ، وشَقَّ الجيوبَ، ودَعَا بدَعْوى الجاهليةِ»[٣]. =

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٢/ ١١٦ برقم (٣٤١٩٤).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٦٧).

(٣) أخرجه البخاري: الجنائز (١٢٩٧)، ومسلم: الإيمان (١٠٣).

= وعن أَنسٍ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أرادَ اللهُ بعَبدِه الخيرَ؛ عَجَّلَ له العُقوبةَ في الدُّنيا، وإذا أرادَ بعَبدِه الشرَّ؛ أمسَكَ عنه بذَنْبِه حتَّى يُوافيَ به يومَ القيامةِ»(١).

وقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ عِظَمَ الجزاءِ معَ عِظَمِ البلاءِ، وإنَّ الله تعالى إذا أَحَبَّ قوماً ابتلاهُم، فمَنْ رَضِيَ فلَهُ الرِّضا، ومَن سَخِطَ فلَهُ السُّخْطُ». حسَّنه الترمذيُّ(٢).

فيه مسائلُ:

الأولى: تفسيرُ آية التغابُن.

الثانية: أنَّ هذا مِن الإيمانِ بالله.

الثالثة: الطَّعْنُ في النَّسبِ.

الرابعة: شدَّةُ الوَعيدِ فيمَن ضَرَبَ الخُدودَ، وشَقَّ الجُيوبَ، ودَعَا بدَعْوى الجاهليَّة. =

---

(١) أخرجه الترمذي: الزهد (٢٣٩٦).

(٢) برقم (٢٣٩٦م).

= الخامسة: علامةُ إرادةِ الله بعَبدِه الخيرَ.

السادسة: إرادةُ الله به الشرَّ.

السابعة: علامةُ حبِّ الله للعبدِ.

الثامنة: تحريم السُّخْط.

التاسعة: ثوابُ الرِّضا بالبَلاءِ[1]. [١٣]

[شرح ١٣] يقول المؤلف رحمه الله: (باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله) أراد المؤلفُ في هذه المقدمة الحثَّ على الصبر عند المصائب وبيانَ أن ذلك من الإيمان، وأنه لا يليقُ بالمسلم الجَزَعُ والتسخُّط لأقدار الله، ومن تمام الإيمان وكماله الصبرُ عند المصائب والكوارث، وأنْ يكون عنده تحمُّلٌ وقلبٌ ثابت عند وجود المصائب من مرض وحَرَق وغرقِ وجَدْب وقَحْط وغير ذلك مما يصيب الناس.

وقد صحَّ عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: =

---

(١) ص٣٠٥.

....

= «عَجَباً لأمرِ المؤمنِ، إنَّ أمرَه كلَّه له خيرٌ وليس ذلكَ لأحدٍ إلا للمؤمنِ، إنْ أصابتْه ضَرَّاءُ صبرَ فكان خيراً، وإنْ أصابتْه سَرَّاءُ شكرَ فكان خيراً له» رواه مسلم في «الصحيح» من حديث صهيب ابن سِنَان الرُّومي رضي الله عنه(١).

فهذا هو شأن المؤمن، وهذا هو الواجب على جميع الناس، وقد قال الله جل وعلا: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل:١٢٧].

والقرآن مملوء بالآيات الكثيرة الداعية إلى الحثِّ على الصبر والثناء على الصابرين، ومن الإيمان الكامل الصبر على أقدار الله، والصبرُ: حَبْس النفس عما لا يرضي الله ـ جل وعلا ـ من جَزَع وتَسخُّط وعما لا ينبغي من قول كنياحة ونحو ذلك أو فعلٍ كضرب الخدِّ وشَقِّ الجيب وحَثْو التراب على الرأس وما أشبه ذلك.

قال الله جل وعلا: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١] =

---

(١) مسلم: الزهد والرقائق (٢٩٩٩).

....

= يعني: من يؤمن بالله إيماناً صادقاً قولاً وعملاً يهدي قلبَه للصواب، ويثبِّت قلبَه على الحق والهدى، بخلاف من ضَعُفَ إيمانُه وقَلَّ يقينُه، فإنه يصاب بأشياءَ كثيرةٍ من ضعف القلب ومَيْله عن الهدى وزَيْغه عن الصواب.

والإيمانُ عند الإطلاق يقتضي الإيمانَ الكامل الذي يشتمل على الواجبات ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ الإيمانَ الصحيح الصادقَ ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ لطُرُق الصواب، ويهديه إلى ما فيه سعادتُه ونجاتُه، ويَصُونه عما يضره.

قوله: (قال عَلْقمة) هو ابن قيس النَّخَعي، أحد أصحاب ابن مسعود، رضي الله عن الجميع: (هو الرجل تصيبه المصيبةُ فيعلم أنها من عند الله فيَرضَى ويُسلِّم) يعني: هذا تفسير الآية ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يعني: يُوقِن أنَّ هذا الشيءَ من عند الله، وأنه ﷻ هو الذي قَضَى هذه الأشياءَ وقدَّرَها لحكمة بالغة.

فعندما يستحضرُ هذا يرضى ويُسلِّم بسبب قوة إيمـانه وقوة =

....

= يقينه واستحضاره أن الله ـ جل وعلا ـ حكيمٌ عليمٌ، وأنه قَدَّر ما قدَّر من المصائب بحِكْمة بالغة، وعند استشعاره هذا الشيءَ يرضى ويُسلِّم وينقادُ لأمر الله تعالى، ويكفُّ جوارحَه عما لا ينبغي.

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «اثنتانِ في الناس هما بهم كفرٌ: الطَّعنُ في النَّسَب، والنِّياحةُ على الميِّت»[١].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «ليس مِنَّا مَن ضَرَبَ الخدودَ، وشَقَّ الجيوبَ، ودَعَا بدَعْوة الجاهليَّة»[٢].

هذا كلُّه يدلُّ على أنه لا ينبغي للمؤمن أن يفعلَ هذه الأفعالَ القبيحة، بل ينبغي له التصبُّرُ والتحمُّل، إذ إنَّ من الكفر الأصغر: الطعنَ في النسب، والنياحةَ على الموتى، وقد جاء في هذا المعنى أحاديثُ كثيرة تدلُّ على تحريم النياحة، وأن الواجب الكفُّ عن ذلك والحذرُ منه. =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٦٧).

(٢) أخرجه البخاري: الجنائز (١٢٩٧)، ومسلم: الإيمان (١٠٣).

....

= ومن هذا حديث أبي مالكٍ الأشعَري في «الصحيح» أن النبي ﷺ قال: «أربعٌ في أُمَّتي من أَمرِ الجاهلية، لا يَترُكونَهُنَّ: الفخرُ في الأحساب، والطَّعنُ في الأنساب، والاستسقاءُ بالنجوم، والنِّياحَةُ»[1].

فالنياحة من المحرَّمات التي تَنقُص الإيمانَ وتُضعِفه، فينبغي الحذرُ منها، وكذا الطعنُ في الأنساب وتنقُّصُ أنساب الناس وعَيبُهم فيها لا يجوز، ففيه أيضاً مَضارٌّ كثيرة على الناس، فوَجَبَ تركُ ذلك والحذرُ منه، وليس من الطعن في الأنساب بيانُ أنسابهم من أجل البيان فقط، كأن تقول: هذا من قُريش، هذا من تميم، هذا من خُزَاعة، هذا من باهِلةَ، هذا من كذا، وهذا من كذا، هذا مولى هذا، وهذا مولى هذا، إلى غير ذلك، فليس في هذا بأس، وهكذا ما يكون في الرُّواة من بيان الثِّقة من المجروح، فهذا كله من باب البيان وليس من باب الغِيبة أو من باب الطعن. =

(١) أخرجه مسلم: الجنائز (٩٣٤).

....

= وإنما الذي يُنكَر من ذلك ما إذا كان القصدُ عيبَ الناس وتنقُّصَهم، لِما فيه من الفَخْر والخُيَلاء والظلم للناس وغِيبتهم.

وأمَّا لَطْمُ الخدود وشقُّ الجيوب، فهذا من عادات الجاهلية؛ كانوا إذا وقعت المصيبةُ فيهم فعلوا هذه الأفعال، فأنكرها النبيُّ ﷺ عليهم وحذَّر أُمَّته منها، لئلا يصيبَهم ما أصاب أهلَ الجاهليةِ من هذه الأخلاق السيئة التي تتضمن الإنكارَ على الله، والتسخُّط على ما سبق في علمه وقضائه ﷻ.

فينبغي للمؤمن أن يكون بعيداً عن أخلاق الجاهلية، بأنْ يتجمَّل بالصبر عند نزول المصائب، فيُظهِر الرِّضا والتسليم والصبر والاحتساب، والصبرُ واجب، والرضا بالقضاء مُستحَب وهو قُربَى، وكذلك الشكرُ؛ فإن الإنسان تكون له عند المصيبة أحوال؛ فتارةً يَجزَعُ، وهذا مُنكَر، وتارةً يصبر، وهذا الواجب، وتارةً يرضى ويُسلِّم ويظهر عليه الرِّضا، فهذا فوق ذلك، وهو الشكرُ، فيعتبر المصيبةَ من موت ولدٍ أو مرضٍ، أو ما أصابه من فقرٍ، نعمةً، وأن الله عليم حكيم، فيشكر اللهَ على ما أصابه من هذه =

....

= النعمة التي فيها حطٌّ للخطايا، وتكفيرٌ للسيئات، والله سبحانه وتعالى أعلم*.

---

* س: إن صلى إمام، ومعه مأموم واحد، ثم شك المأموم بعد السلام بنقصان ركعة، فماذا يفعل المأموم؟

ج: يتبع إمامه.

س: وإن شكَّ الإمام؟

ج: بعد السلام انتهت الصلاة.

س: فإذا قام بعد السلام ليأتي بركعة، فهل يتابعه؟

ج: لا، نراه خطأً، بل يبني على ما يرى أنه الصواب، لأن في ذلك تعسُّرَ العبادة على الناس.

س: وإذا قام عند التشهد الأول؟

ج: ينبَّه الإمام.

س: فإذا نبَّهه ولم يرجع؟

ج: إذا كان نبَّهه في أثناء القيام ينبغي الرجوعُ، وإذا كان قد استوى لم يلزمه الرجوع فيستمر ويسجد للسهو، وهذا ما فعله النبي ﷺ.

س: هناك من يقول: إنه إذا انتصب يكره رجوعه، وإذا شرع في =

....

= القراءة يَحرُم؟

ج: فيه اجتهاد والأصل في هذا أنه ﷺ لما قام لم يَرجِع، بل استمرَّ، وهذا التفسير من باب الاجتهاد.

س: أن يستمرَّ هو الصواب؟

ج: نعم، إذا قام عن التشهد الأول ولم يرجع، فاستوى ولم ينتبه، ونُبِّه بعدما استوى، فالأَولى أن يستمر ويسجد للسهو، وأما إن نُبِّه حالَ نهوضه فيرجع؛ لأنه واجبٌ عليه.

س: ما سندُ من يحرِّم الرجوع؟

ج: ما أعلمُ فيه شيئاً، إلا أنه شَرَعَ في الرُّكن الآخر، والرسولُ ﷺ لم يَرجِع، بل استمرَّ، وهو القدوةُ ـ عليه الصلاة والسلام.

س: هل يستوي في ذلك إذا شَرَع في القراءة أم لم يَشْرَع؟

ج: إذا شَرَعَ كان أشدَّ، لكن إذا لم يكن شَرَع في رُكْن آخر يتعيَّن عليه أن يرجع.

س: قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥] ﴿ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧] ما الفرق بين هذه الثلاث؟ =

....

= ج: كافر لجَحْدِه الحقَّ، ظالـمٌ لأنه باغٍ على الحق، فاسقٌ لخروجه عن الطاعة الحقيقية، هذا إذا اعتقد حِلَّ الحكم بغير ما أَنزل الله، أو أن الحكم بغير ما أنزل الله أَوْلى، فيكون كفرُه كفراً أكبرَ، أما إذا فعله لشهوة أو لرشوة أو ما أشبه ذلك، فهذا كفرٌ دونَ كفرٍ، وظلمٌ دونَ ظلمٍ، وفِسقٌ دونَ فسقٍ، كما قال ابنُ عباس.

هذا هو الصواب الذي عليه عامَّة أهل العلم، فجمهور أهل العلم يقولون: يكون كفراً دون كفر، وظلماً دون ظلم، وفِسقاً دون فسقٍ، ما لم يَستحِلَّه، فإذا استحلَّه كان كفراً أكبرَ، وليس كما يقول الخوارج وغيرُهم، بل القاعدةُ: أنَّ هذه المعاصي من استحلَّها فقد كفر، ومن لم يستحلَّها لم يكفر.

س: إذا صلى تحية المسجد ركعتين ثم زاد ركعة ثالثة، فهل يلزمه السهو؟

ج: فيما يظهر أنه يجب أن يرجعَ، هذا هو الأظهر؛ لأن السُّنة ثنتان فقط، لكن لو صلَّى ثلاثاً فإنه لا يأتي برابعة؛ لأن السنة ثنتان، وهذا واردٌ أيضاً قبل السلام أو بعد الانتهاء من الركعة.

س: هل يأتي برابعة حتى لا يصير وتراً؟

ج: لا يأتي بالرابعة، مثل لو قام لثالثةٍ في صلاة الفجر فإنه لا يأتي برابعة؛ =

....

= لأن هذه ثنتان، فهو مأجورٌ بالزيادة لأجل نسيانه، فإذا ذَكَر زال العذرُ.

س: « ليس منا من ضرب الخدود» هل هذا كفر أكبر؟

ج: هذا من باب الوعيد، ليس المعنى أنه كفرٌ، يقال للزجر عند أهل السنة والجماعة، يعني: ليس منا على الكمال، أو ليس مؤمناً إيماناً كاملاً، أو ليس على طريقتنا المعتبَرَة، يكون من هذا التأويل، وهذا من باب التحذير، وهو كثير.

* * *

فهرس الموضوعات

شرح كتاب التوحيد

للمراسلة
عبد السلام بن عبد الله السليمان
ص.ب ٢٨٠٨٤ الرياض ١١٤٣٧
E-mail:abdulsalam700@hotmail.com